نساء صنعن التاريخ
في العهد النبوي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا
ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 245 11 963+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com

نساء صنعن التاريخ

في العهد النبوي

د. كريمة عبّود

قرطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

من خلال الكتب والبحوث والندوات والمؤتمرات في عصرنا الحاضر نسمع ونقرأ الكثير عن المرأة وحقوق المرأة، وظلم المرأة، وغيرها من الصرخات الجوفاء التي لا طائل وراءها سوى التشغيب وإثارة الفتن والقلاقل، ولا أحد يعرف ما يناسب المرأة وطبيعة خلقتها حتى المرأة نفسها إلا الخالق العليم الخبير الذي خلق المرأة والرجل، هو وحده العليم بالمرأة وما يناسبها لأنه خلقها والعليم بجميع جوانب حياتها، في مختلف مراحلها، والقرآن قد ذكر المرأة في عدة سور، بل جعل سورة من القرآن باسم سورة النساء فكان من الواجب على من يريد الكتابة عن المرأة وخاصة المسلمين الرجوع في كتاباتهم عن المرأة للشريعة الإسلامية، والتي وحدها قد أعطت المرأة كل ما لها من حقوق، وفرضت عليها ما يجب من واجبات مراعاة لمصلحتها وسعادتها في الدنيا والآخرة.

لهذا أردت في هذا البحث التعرض لوضع المرأة في عهد النبوة، لكي نعرف النظرة الإسلامية الصحيحة للمرأة وما لها وما عليها، وذلك بارتشاف ولو قطرات من المنهج الرئيسي الأول ألا وهو سيدنا رسول الله - ﷺ - الذي وصفه ربه بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] فكلامنا هو الوسطية المحمودة التي هي بعيدة كل البعد عن الإفراط والتفريط، فالإفراط يمثله تيار الجاهلين لأحكام الشريعة الذين يسمون العادات ديناً وهم يمثلون فئة المطالبين بحرمان المرأة من حق التعليم والعمل والميراث وإبداء الرأي في اختيار شريك الحياة والدرب وغيرها من الحقوق، ظهر هذا الفريق حين بعد الناس عن الإسلام وتعاليمه حتى أصبح الرجل لا

(1) سورة الأنبياء الآية 107.

يرى حرجاً في ترك الصلاة والصوم متوانياً عـن أداء فريـضة الحـج سـاخراً بفريضة الزكاة، ولكنه يغالي في ظلم المرأة والتسلط عليهـا ويـرى ذلـك آيـةَ تدينه وورعه وتقواه، وفي الجانب المقابل نجد التفريط وهو تيـار المتحـررين المتمردين أو الأصح المنحلِّين الذين يطالبون بترك المرأة تفعل ما تـشاء دون قيد ديني أو أخلاقي أو حتى عرفي.

تمهيد:

إذا حاولنا الرجوع إلى العصور الخوالي وجدنا أغلب الأمم - إن لم تكن كلها - تعتبر المرأة كأنها متاع تباع وتشترى لا قيمة لها، ففي كتاب قصة الحضارة[1] مثلاً نجد قصصاً عجيبة وغريبة عن التعامل مع المرأة حتى وصل ببعض الرجال إلى بيع زوجاتهم وأولادهم، وفي المقابل هناكَ من كان يهتم بالمرأة حتى ظهرت الأسرة الأموية في بعض الأحيان نسبة للأم.

فالنظرة إلى المرأة كانت تختلف باختلاف الحضارات والأمم، بل قد تختلف النظرة إلى المرأة حتى في البلدة الواحدة مثل شبه الجزيرة العربية التي نظر رجالها إلى المرأة حسب الظروف المعيشية العامة وباختلاف القبائل أو النسب الذي ترتبط به، فهي معززة ذات مكانة رفيعة[2] لها الحق في إبداء رأيها معتدة بنفسها حريصة كل الحرص على حسن الأحدوثة وعلى صيانة سمعتها وسمعة الأسرة والقبيلة ومن أمثال تلك النساء السيدة خديجة بنت خويلد التي كانت تدعى الطاهرة سيدة نساء قريش، وفي المقابل نجد المرأة في بعض الأماكن مهضومة الحقوق مهيضة الجناح في مجتمع كافر جاهلي لا يمنحها أدنى الحقوق، فكانت ولادة البنت مبعثاً للخزي والعار فكان الزوج إذا وضعت زوجته بنتاً يشعر بالعار ويتوارى عن الناس وقد صور لنا القرآن كيف كان الأب يستقبل مولودته بالغضب وخاصة على الزوجة كأنها السبب في هذه المصيبة والحزن والألم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى

---

(1) قصة الحضارة ج3: 177 ـ ج7: 115.

(2) مكة في عصرها قبل الإسلام أحمد أبو الفضل ص 140.

أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2] ثم يأخذ الأب الطفلة فيشق لها قبراً يضعها فيه وهي مازالت على قيد الحياة ثم يهيل عليها التراب فتموت، وفي سورة التكوير بين لنا القرآن الحل البشع الذي توصل إليه الأب بالتخلص من تلك الوليدة بالدفن حيَّةً، وإذا سلمت المرأة من الدفن وهي صغيرة لم تسلم مما ينتظرها من ألوان المهانة وهيَ كبيرة كما أن المرأة كانت تورث كالمتاع فتدخل ضمن ميراث المتوفَّى لتوزع على أبنائه وأهله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ... ﴾[3] وعن ابن عباس قال: كان الرجل إذا مات كان أولياؤه أحق بامرأته من ولي نفسها إن شاء بعضهم زوجها وإن شاؤوا لم يزوجوها فنزلت الآية السابقة[4].

وكان الرجل في الجاهلية من حقه أن يتزوج العدد الكثير من النساء بالإضافة إلى أنواع من الأنكحة[5] الفاسدة المضرة للمرأة مثل الإستبضاع والمقت والشغار والبدل وغيرها، وهذه الأنكحة الفاسدة حرمها الإسلام وأبقى على النوع الذي يشتمل على العقد المؤبد ومهر وشهود، ولا ننسى أن ننوه هنا أن أنكحة أجداد النبي - ﷺ - وأبنائه وبناته وأقاربه كانت على طريقة النكاح الصحيح الذي أقره الإسلام، فقد قال - ﷺ -: «إني خرجت من نكاح

---

(1) سورة النحل آية 58 - 59.

(2) سورة الزخرف آية 17.

(3) سورة النساء آية 19.

(4) سنن أبي داود ج2: 230.

(5) انظر العقود الفاسدة ص 20، الزواج وأحكامه في مذهب أهل السنة - أحمد فرج - ص 24، نظام الإسلام د. وهبة الزحيلي ص 23، الزواج في مذهب أهل السنة ص40، كتاب الزواج في السنة ص26.

ولم أخرج من سفاح» وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»[1].

وأيضاً من ألوان المهانة التي كانت تتعرض لها المرأة المظاهرة وهيَ أقسى وأعنف من الطلاق فإذا غضب الرجل على زوجته ظاهر منها فقال لها: أنتِ عليَّ كظهر أمي أي طلاق لا رجع فيه وفراق لا وصال بعده وأسرة تتفكك وأطفال تشرد وغير ذلك من ألوان الظلم والتعسف.

أما حال المرأة في الغرب فقد عقد اجتماع سنة 1586 يبحث شأن المرأة وما إذا كانت تعد إنساناً أو لا تعد إنساناً وبعد نقاش طويل[2] قرر المجتمعون أن المرأة إنسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل، وفي سنة 1938 صدر قانون ولأول مرة جاز للمرأة أن تفتح حساباً باسمها في المصارف وفي انجلترا بقيت النساء حتى سنة 1850 غير معدودات من المواطنين وظلت المرأة حتى سنة 1882 ليس لها حقوق شخصية ولم تسوِّ جامعة اكسفورد بين الطالبات والطلبة إلا بقرار صدر في سنة 1964، وفي فرنسا التي نادت بالمساواة والحرية والعدالة كانت شعاراتها مقصورة على الرجال فقط ولبثت المرأة الفرنسية كما هي محرومة من حقوقها الإنسانية، والقانون المدني الفرنسي يعتبرها فاقدة الأهلية للتعاقد وبذلك ساواها بالصبي الصغير أو بالمجانين، ولم تفز ببعض حقوقها إلا بمقتضى القانون الذي صدر 1938 وهذا القانون يفرض على تصرفاتها قيوداً كثيرة ولاسيما إذا كانت متزوجة[3].

---

(1) ابن كثير ج1: 250.

(2) حقوق المرأة في الإسلام دراسة مقارنة مع الواقع ـ د. صالح جرادات ـ ص18، المرأة بين الفقه والقانون ـ مصطفى السباعي ـ ص20.

(3) المرأة في القرآن ـ محمد كامل المحامي ص27.

ومازالت آثار عدم معاملتها بالحسنى موجودة في المجتمع الغربي حتى اليوم، إذ تعطى في بعض الشركات أجراً أقل من زميلها في نفس العمل ونفس الدرجة وظلت حقوقها مهضومة في كثير من المجالات[1]، فمثلاً عندما تتزوج تنسب إلى زوجها فيقال لها مدام فلان، فأي مساواة للمرأة بعد أن تسلب اسمها واسم أسرتها ثم يأتي المفتنون ويقولون نريد أن نكون مثل الغرب والغرب لم يعطِ المرأة حقّاً ولا حرية حتى في أسمها ولا في مالها[2].

والآن وبعد الحديث المختصر عن المرأة في الأمم السابقة وخاصة عصر الجاهلية والمرأة في الغرب نريد أن نتكلم عن المرأة في الإسلام وما هو التغيير الكبير الذي حدث في النساء بعد أن اعتنقن الإسلام وكيف أن الرسول- ﷺ - طبق شريعة الإسلام بطريقة عملية والحقوق التي منحها الله لهن وكيف كان الرسول - ﷺ - يعاملهن ويستمع إلى حديثهن الأمر الذي جعل النساء يعملن كل ما في وسعهن لخدمة الدعوة والإسلام في مختلف الميادين الحربية والسلمية بالإضافة إلى الوظيفة الأساسية وهي الأمومة والقيام بشؤون الزوج، فعندما بزغ نور الإسلام ببعثة الرسول- ﷺ - وتغيرت الدنيا وانتقلت الإنسانية من فصل كله جدب وخريف وسموم إلى فصل كله ربيع وأزهار وجنات تجري من تحتها الأنهار تغيرت طباع الناس وأشرقت القلوب بنور ربها واستضاءتْ العقول بأفكار جديدة تحمل الإيمان وأفاقت الإنسانية من سبات عميق طويل.

فالإسلام جاء لإسعاد النوع الإنساني ذكراً كان أم أنثى فنقل المرأة من ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام وأنصفها الإنصاف الذي لم تحصل عليه من قبل ولم تجد مثله في أي تشريع أو قانون، ولم تقتصر آثار الإسلام فقط على إنصاف

---

(1) الإسلام في الفكر الأوربي ـ د.محمد شامة ص12.

(2) المرأة المسلمة والدعوة إلى الله ـ الشعراوي ص 13.

المرأة العربية ولكن كانت له آثاره البعيدة المدى على المرأة الأوربية، فإسبانيا تأثرت تأثراً عميقاً بالحضارة الإسلامية أثناء وجود العرب فيها، فقد ارتفع شأن المرأة الإسبانية بعد أن تأثر المجتمع الإسباني بتقاليد العرب المستمدة من القرآن، وقد ذكر ذلك عدة مستشرقين في كتبهم مثل كتاب «إسبانيا المسلمة» وكتاب «الحضارة العربية في إسبانيا» وغير ذلك من المؤلفات، ونرجع للمرأة في الإسلام، فهي مسؤولة ضمن اختصاصها كما أن الرجل مسؤول ضمن حدود اختصاصه مع ملاحظة فطرة كلٍّ منهما التي جعلت منهما عنصرين متكاملين لا يستغنى أحدهما عن الآخر قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1] وقد خاطب القرآن المرأة بمثل ما خاطب الرجل وسوّى بينهما في القيمة الإنسانية وفي النواحي الروحية وسفه كثيراً من العادات التي كان يقررها المجتمع للمرأة فكلاهما في نظر الإسلام من جوهر واحد فحق الحياة منحه الله للإنسان رجلاً كان أو امرأة لا يملك أحد انتزاعَهُ بغير إرادة الله، وحق الحرية في أن تعتقد ما تراه حقاً وأن تقرر ما تراه حقاً على أن لا تضر بتصرفها الآخرين وأيضاً حق التفكير وحرية الرأي وخاصة فيما يخصها وحق العلم والدعوة إلى التمسك به والتحلي بالأخلاق الفاضلة حتى تكون الأم كهفاً للأمومة الواعية ومدرسة للحضارة الراشدة فالإسلام لم يفرق بينهما إلا حيث تدعو إلى ذلك طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له ومراعاة صالح الأسرة وصالح المرأة نفسها فالإنسان عندما يستعرض مظاهر التشريع الإسلامي يرى أن الإسلام وضع الدواء لكل داء وعالج كل مشكلة يمكن أن تصيب الجماعة بالتصدع والانهيار وكان نصيب المرأة من التشريع الإسلامي وفيراً فبين مكانتها ورفع من شأنها ووضعها في

(1) سورة التوبة آية 71.

مكانها الطبيعي من مسيرة الحياة كما نزلت سورة كاملة من أكبر سور القرآن باسم النساء تتحدث عن الأحكام العادلة في معاملة النساء وغيرها من السور والآيات وأيضاً الأحاديث النبوية والأعمال التي قام بها الرسول - ﷺ - في تطبيق أحكام القرآن على الواقع والحقيقة ومواقف حدثت في عهده علمتنا كيفية التصرف في أمثالها بما جاء في القرآن وبذلك أخذت المرأة في عهده حقوقها كاملة في الحياة والدين والعلم والعمل وغير ذلك. ومن خلال المعاملة الحسنة التي كان الرسول - ﷺ - يعامل بها النساء عرفت المرأة مسؤوليتها نحو نفسها بالالتزام بقواعد الدين من الإيمان الصادق والقيام بالعبادات والتمسك بالأخلاق وأهمها عدم التبرج وأيضاً السعي لمعرفة أمور دينها ودنياها ذلك التعليم الذي يؤدي إلى حسن اختيار شريك الحياة وبذلك تبني أسرة سليمة على أسس من الخلق والدين كما أن المرأة عندما وصلت إلى هذه الدرجة من العلم والدين والخلق ساهمت في بناء الأمة بتربية الأبناء التربية الصحيحة والدعوة إلى الله وبهذا سارت المرأة في ركب الحياة تبغي مرضاة الله، وهكذا كانت المرأة في عهد الرسول - ﷺ - وسوف أتعرض لذلك التطبيق لآيات القرآن في حينه خلال هذا الموضوع ولكن إذا رجعنا إلى الكتب والبحوث والندوات والمؤتمرات في عصرنا الحاضر نسمع ونقرأ الكثير عن حقوق المرأة وظلم المرأة وغيرها من الصرخات والنعيق نعيق أذيال الغرب وأتباعهم ولا أحد منهم يعرف ما يناسب المرأة حتى المرأة نفسها تنعق معهم دون أن تعرف شيئاً فالذي علم بالمرأة في خلقتها وتكوينها ومشاعرها ونفسيتها هو خالقها الله سبحانه وتعالى فكان من الواجب على من يريد الكتابة عن المرأة وخاصة المسلمين الرجوع في كتاباتهم عن المرأة للشريعة الإسلامية التي وحدها قد أعطت المرأة كافة الحقوق وفرضت ما يجب عليها من واجبات مراعاة

لمصلحتها وسعادتها في الدنيا والآخرة بطريقة بعيدة كل البعد عن الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، ولكن وللأسف الشديد أصبحت المرأة في العصر الحاضر بين هذين التيارين: الإفراط والتفريط[1] مما حال دون قيام المرأة بدورها الكامل سواء في داخل البيت المهمة الأساسية الأمومة للأبناء والسكن للزوج أو في خارج البيت المهمَّة الثانوية المشاركة في بناء الأمة والسبب في ذلك انحراف عن تعاليم دينهم في معاملة النساء وشاعت بينهم روايات مظلمة وتفسير خاطئ للقرآن والأحاديث والفهم الخاطئ والمعوج لتعاليم الإسلام كل ذلك انتهى بالمرأة المسلمة إلى الجهل الطامس والاستبعاد فأعادها إلى الجاهلية الأولى فتيار الغلو والإفراط يرى تعليم المرأة معصية ومشاركتها في شؤون المجتمع أو انشغالها بحاضره شيء لا يهمها وكان ازدراء الأنوثة حقاً شائعاً للرجل والجور على حقوقها المادية والأدبية هو العرف السائد بل كان يعتبر من مفاخر الرجولة كلما اشتد هذا الجور وتمكن من الرجل حتى أصبح الرجل لا يجد حرجاً في ترك الصلاة والصوم متوانياً عن أداء فريضة الحج ساخراً بفريضة الزكاة ولكنه يغالي في ظلم المرأة والتسلط عليها ويرى في ذلك آية تدينه وورعه وتقواه.

وفي الجانب المقابل نجد التفريط والتقصير وهو تيار المتحررين المتمردين أو الأصح المنحلِّين المتحلِّلين من الأخلاق والدين يطالبون بترك المرأة تفعل ما تشاء دون قيد ديني أو أخلاقي أو حتى عرفي يلهثون وراء ما يأتي من الغرب[2] من انحلال وفسق ويعتبرونه تحضُّراً وتقدماً وهو في الحقيقة تخلف ورجوع إلى عصور الظلام.

---

(1) انظر مسؤولية النساء تجاه الأمة الإسلامية ـ د. سامية عبد العزيز ـ ص27.

(2) المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق ص 179.

ولهذا يجب على المرأة أن تشارك في مختلف نـواحي الحيـاة بـلا إفـراط أو تفريط وذلك حتى تواجه المفهوم السطحي والمتخلف للغرب عن تحرير المـرأة الذي انحط إلى مستوى التحرر من الأخلاق والحياء بل وأساساً التحـرر مـن مهمة بناء الأسرة وهو أقصر طريق لهدم المجتمعات.

وقد قال أحد المستشرقين: لو أحسن الرجل الاستمساك بدينه في الشرق لأسلم الرجل في الغرب، ولو أحـسنت المـرأة استمـساكها بـدينها في الـشرق لأسلمت المرأة في الغرب.

وبهذا نجد الإسلام هو وحده الذي أعطى للمرأة كافة حقوقهـا التـي لم ولن تمنح مثلها أبداً فارتأيت أن اكتب في تلك الحقوق وكيفية تطبيقها عملياً في عهـد الرسـول - ﷺ - في جميـع المجـالات وحاولـت بقـدر المـستطاع أن آتي بالأمثلة من شخصيات نسائية عشن في ذلك الزمان وبينت الكيفية التـي كـان يعامل بها الرسول- ﷺ - تلك النساء وكيف كن يتعاملن مع أهل بيوتهن مـن أزواج وأولاد ونتيجة تلك التربيـة الرائعـة التـي جعلـت مـنهن أمثلـة رائعـة للقدوة الحسنة لنساء العصور التالية.

الفصل الأول

المرأة في المجتمع المكي
والهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة

لقد كانت للمرأة العربية الكثير من الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة منها العفة والشجاعة والأمانة وجاء الإسلام فأكد على تلك الصفات ووجَّهها التوجيه الصحيح في ضوء الشريعة الإسلامية فبرزت في تلك الفترة العديد من النساء الخالدات اللاتي أسلمن وتحملن الأذى في سبيل دينهن، وكان البعض منهن قد تركن الديار فراراً من الاضطهاد غير مباليات بالغربة وفراق الأهل والأحباب، وأول هؤلاء السيدات **خديجة بنت خويلد**[1] التي كانت أول امرأة آمنت بالرسول - ﷺ - فكانت تسانده وتواسيه، فقد قالت له عندما أخبرها بخبر الوحي عندما أتاه أول مرة «وَالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر»[2] وقالت له: أبشر إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، وقال فيها الرسول - ﷺ - «آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء»[3].

---

(1) أسد الغابة ج1: 16، طبقات بن سعد ج1: 132، مروج الذهب ج2: 283، الاستيعاب ج4: 279، الإصابة ج4: 281.

(2) البخاري ج1: 5.

(3) مسند الإمام أحمد ج6: 118.

هذه السيدة العظيمة التي بشرها جبريل بقصر في الجنة، والتي اقرأها الله جل جلاله السلام عن طريق جبريل فقالت خديجة: «الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام»[1].

وهذا الرد يدل على ما كانت تتمتع به خديجة من الآداب مع الله ورسوله - ﷺ - وإن هذا الشرف لم ينله أعظم الرجال فنالته الطاهرة خديجة التي خرجت من أحسن بيوت قريش[2] حيث نبتت في بيت واسع الثراء ملتزم بالأخلاق الفاضلة بعيداً عن الانغماس في الملذات والملاهي، وإن السيدة خديجة تجتمع مع النبي - ﷺ - في قصي وهي من أقرب نسائه إليه في النسب[3] كان والدها خويلد من أشرف رجال قريش ومن ذوي المكانة العالية كما عرف أخوه ورقة بالعلم والحكمة ثار على عقائد قريش وكان يترقب ظهور النبي الذي بشّرت به التوراة والإنجيل، وأم خديجة من أعلى الأسر، وكانت قريش تتميز عن سائر القبائل بحسن معاملة المرأة فقد كان لها بعض الحقوق وعليها بعض الواجبات حتى إنَّ المرأة كانت تتصرف في بعض الأمور التي تتصل بشؤونها الخاصة وأيضاً إبداء الرأي في بعض المسائل التي تتصل بالأمور العامة، ولحكمته ـ تعالى ـ أعد أحدى هذه النساء لمسؤولية خطيرة وهي زوجة الرسول - ﷺ - فنشأت خديجة في بيت عز وشرف نقية السيرة طاهرة عاقلة مفطورة على التديّن وراثة وتربية ممَّا جعل قريش تطلق عليها لقب الطاهرة وتنافس شباب قريش في الزواج بها وقد تزوجت مرتين ومات الزوجان فأسرع إليها عظماء قريش يلتمسون الزواج بها ولكنها أعرضت عن سادات قريش وهي لا تعلم أنَّ الله أعدها لتكون الزوجة

---

(1) البخاري ج5: 148.

(2) في انساب العرب ابن حزم ص171، الثقات ج2: 137، أسد الغابة ج7: 7.

(3) السيرة النبوية من فتح الباري ـ ابن حجر ج1. ص 25.

لسيد العالمين وخاتم المرسلين فقد اكتفت بتربية صغارها وتنمية مالها واحتجبتْ في دارها فلا تخرج للتجارة ولا تختلط بالتجار وكانت تستعين بأخيها في أمور تجارتها[1]، وكانت خديجة لا تحب الأصنام فلم تسجد لها قط فهي تعرف جيداً أنها لا تضر ولا تنفع فكانت تستريح نفسها لسماع كلام عمها ورقة - وقيل ابن عمها - فكانت تنصت وتسمع إليه أكثر عندما يتحدث عن النبي الذي سيرسله الله لهداية الناس فكم كانت تتمنى أن تراه وأن تكون من أتباعه فتقدم كل ما تملك في سبيل نصرته، وعندما سمعت بمحمد -ﷺ- وما يتحلى به من أخلاق وأمانة وصدق طلبت منه أن يخرج في تجارتها، وعندما أخبرَها خادمها ميسرة بما رأى وسمع من أمر محمد -ﷺ- في تلك السفرة فكان ذلك الحديث مما زاد إعجاب خديجة به، وشعرت أنه ربما يكون هو نبي هذه الأمة، فخطبته لنفسها الزكية، وتم الزواج بين الصادق الأمين وسيدة نساء قريش فكان زواجاً مباركاً[2] كون المثال العملي للأسرة الإسلامية السعيدة الذي تقتدي به البشرية لتكوين المجتمعات الفاضلة.

كانت خديجة الزوجة والصديق والأم والأخت للرسول -ﷺ- ضحت في سبيل الله ورسوله والإسلام بكل ما تملك فقد رعت الدعوة وتعاهدتها بالعناية وهي في مرحلتها الأولى تهون عليه ما يلاقيه من أمر الناس فهي بحق التي تسمى السكن، فكان موقفها من الرسول -ﷺ- هو المثل الأعلى لما تستطيعه الزوجة المؤمنة بدعوة الخير أن تقوم به في سبيل نجاح زوجها الداعية وثباته، كما أنها أحسنت تربية أولادها وتنشئتهم على مكارم الأخلاق.

---

(1) أهل البيت ـ توفيق أبو علم ـ ص105.

(2) دلائل النبوة ج2: 68، تاريخ الثقات لأبي الحسن العجلي 519، سطور مع العظيمات ـ محمد كامل حسن ص14، المغازي النبوية للزهري 42، الدرر 180، تهذيب السيرة لعبد السلام هارون 150.

فهذه رقية ابنته[1] تزوجت عثمان بن عفان الذي كان من أعرق فتيان قريش نسباً وكان ذا أخلاق عالية وصفات حميدة وكانت رقية من ضمن المهاجرات الأوائل إلى الحبشة تركت الأب الحنون والأم الرؤوم وتركت بلادها وبيتها الذي ترعرعت فيه وهاجرت مع زوجها عثمان إلى الحبشة وتكبدت وحشة الغربة والبعد عن الأهل وقاست في سبيل دينها البعد عن أعز الناس أبيها وأمها وإخوتها[2] والذي نفيده من الخبر المذكور أن رقية سايرت غيرها من النساء مؤانسة لهن، وما كادت تصل إلى الحبشة حتى اشتد عليها الإجهاض، فأجهضت جنينها، وعندما هاجرت إلى يثرب، هناك وضعت طفلها الأول وسمي عبد الله وكان عثمان يكنى به ولكنه مات فسقطت صريعة الحمى حتى أسلمت روحها الطاهرة في اللحظة التي انتصر فيها المسلمون على الكفار في بدر.

وأم كلثوم[3] التي هاجرت مع أختها فاطمة إلى أبيهما في المدينة، وبعد وفاة رقية تقدم عثمان وطلب يد أم كلثوم فوافق - ﷺ - ولذلك لقب عثمان بذي النورين لأنه تزوج اثنتين من بناته - ﷺ - فقد روى سعيد بن المسيب أن النبي - ﷺ - رأى عثمان بعد وفاة رقية مهموماً فقال له «مالي أراك مهموماً» فقال يا رسول الله وهل دخل على أحد ما دخل عليَّ ماتت ابنة رسول الله التي كانت عندي وانقطع الصهر بيني وبينك، فبينما هو يحاوره إذ قال النبي - ﷺ - «يا عثمان هذا جبريل يأمرني عن الله - عز وجل - أن أزوجك أختها أم كلثوم»

---

(1) الإصابة ج4: 304، الدرر ص207، الطبقات ج8 ص36، سير النبلاء ج2- ص251.

(2) الإصابة ج4: 304، سطور مع العظيمات 37.

(3) سطور مع العظيمات ص40، الطبقات ج8 ص38، أسد الغابة ج7 ص384، أعلام النساء ج2 ص107.

فزوجه إياها ولكنها ما لبثت أن لحقت بأختها الراحلة فوقف - ﷺ - على قبرها وعيناه تدمعان وهو يرى بناته تموت الواحدة منهن تلو الأخرى بعد أن مات أولاده البنون أطفالاً، وفي ذلك حكمة عظيمة في بقاء البنات للرسول - ﷺ - دون الأولاد وحسن تعهده لهن وحبه الشديد لهن قدوة لمن لا يحب إنجاب البنات لعل الناس يغيرون نظرتهم للبنات فيفرحون بهن ويحسنون إليهن وأيضاً شاءت حكمة الله أن تجعل من نكباته في أولاده وبناته أمثلة رائعة للصبر الذي يجب أن يتحلى به المؤمنون.

وزينب ابنته الكبرى[1] التي تزوجت ابن خالتها هالة وهو أبو العاص بن الربيع من أشراف مكة، وهو من أكرم رجال قريش أمانة وخلقاً وقد أسلم وحسن إسلامه بعد انتقال الرسول - ﷺ - إلى المدينة، وقد ورثت زينب عن أبيها - ﷺ - وأمها خديجة الإخلاص والوفاء فأسعدت زوجها ورزقت منه بعلي وأمامة، وقد مرت بأقسى أزمة عاطفية تمر بها زوجة، حيث هبطت الرسالة على أبيها فآمنت به مع أخواتها وأمها، ورفض زوجها أن يسلم خوفاً من اتهام قريش له بأنه تخلى عن معتقداته من أجل زوجته وحميه.

وعندما قامت الحرب بين قريش والمسلمين وانضم زوجها إلى قريش ظلت زينب في بيتها مع طفليها ممزقة القلب مشتتة العاطفة إذا انتصر المسلمون فقدت زوجها، وإذا انتصرت قريش فقدت أباها، وعندما علمت أن زوجها وقع في الأسر، صممت على فدائه، وقبيل رجوع زوجها إليها طلب منه الرسول - ﷺ - أن ينفصل عنها مادامت هي مسلمة وهو لم يعتنق الإسلام بعد، فوعده بذلك، وبعث الرسول - ﷺ - زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار قال لهما كونا من مكان قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى

---

(1) الطبقات ج8: 30، الإصابة ج4: 312، الدرر ص231، سطور مع العظيمات ص33.

تأتياني بها وغضبت قريش عندما صمم زوجها على إرجاعها إلى أبيها لأنها أرادت ذلك، فما كان من قريش إلا أن أرسلت رجلين هاجما البعير الذي تركبه زينب فقتل البعير وسقطت هي على رمال الصحراء جريحة وطرحت جنينها في الصحراء ووصلت إلى المدينة حيث بقيَتْ سنوات مع أبيها وهي لا تكف عن التفكير في زوجها وطفليها.

وقد قاست الكثير في سبيل دينها من ألم الفرقة والبعد عن فلذات كبدها، وأخيراً رجع إليها زوجها مسلماً بعد أن أضناها الحزن وهد كيانها ذلك التمزق العاطفي الذي لبثت تكابده سنوات طويلة فقد كانت مخلصة لدينها بأن تركت زوجها وهاجرت إلى المدينة وكانت أيضاً وفية لزوجها حتى جمع بينهما الإسلام، فاستقبلت عودة زوجها بفرحة غامرة، ولكن ضعفها وما أصابها من وهن ونحول لم يترك لها سوى بضعة أيام للسعادة ثم أسلمت روحها الطاهرة إلى بارئها[1].

وفاطمة الزهراء[2] سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة أصغر بناته تزوجت علي ابن أبي طالب وهي تعلم أَنَّهُ فقير، فقد كان فراشهما إيهابَ خروف إذا أرادا أن يناما قلباه على صوفه ووسادتهما من أدم حشوها ليف ولكنه كان أكثر الشباب فقهاً وعلماً وقد تربى في بيت النبوة، وعاشت معه راضية بذلك تقوم بجميع أعمال المنزل وكان - ﷺ - يحبها كثيراً ويحب أبناءها ولكنه مع ذلك لم يخصها بشيء من متاع الدنيا فعندما طلبت منه خادماً يساعدها في أمور المنزل فقالت للرسول- ﷺ - قد تعبت يداي من الرحى ليلتي جميعها أدير

(1) البخاري ج7: 61، خلاصة التذهيب ج3: 389، ابن ماجة ج4: 341، الطبقات ج8: 20، مرآة الجنان - اليافعي - ج1: 341، أعلام النساء ج4: 112.

(2) النساء في سطور ص45، الدرر المنثور، حلية الأولياء ج2: 39، الثقات لابن حبان ج5: 334، تهذيب السماء واللغات النووي ج2: 352، طبقات ابن سعد ج8 ص25، أهل البيت ص111.

الرحى حتى أصبح وأبو الحسن يحمل حسن وحسين، فقال لها الرسول - ﷺ - «اصبري يا فاطمة فإن خير النساء التي نفعت أهلها» ثم قال لها «لا أعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ثم قال لها ألا أدلك على خير من ذلك إذا أويت إلى فراشك تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين وتكبرينه أربعاً وثلاثين»، وعندما عرض بنو هاشم بن المغيرة على علي الزواج بابنتهم قال - ﷺ - إذا أراد علي الزواج بها فعليه طلاق فاطمة فلا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد، وقال أيضاً: إنَّ بني المغيرة استأذنوا في أن ينكح علي ابنتهم فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن، وهذا خوفاً منه على أمْنِ الدولة الإسلامية وأسرار الإسلام، ولعل ذلك كان لأسباب أخرى فهو لا ينطق عن الهوى فقد قال - ﷺ - «إن الله أبى لي أن أتزوج أو أزوج إلا أهل الجنة». وقد روت عنه: ليس من المؤمنين من لا يأمن جاره بوائقه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت[1] وفاطمة هي التي غسلت وجهه الشريف عندما رجع من غزوة أحد وأزالت ما عليه من دماء ولم يكن أحد أشبه به منها فقد كانت وأخواتها سلوة له وعزاء بعد وفاة أمهن وقد سُئلتْ عائشة أم المؤمنين عن أحب النساء للرسول - ﷺ - فقالت: فاطمة وقيل ومن الرجال قالت: زوجها علي.

وفي بداية الدعوة الإسلامية كان - ﷺ - يتلطف في عرض الإسلام، ويكشف النقاب عن مخازي الوثنية بالموعظة الحسنة والبرهان الساطع ولقد تعرض مع أفراد أسرته للكثير من الأذى كما ذكرت سابقاً، كما أنَّ الكثير من

---

(1) مسند فاطمة الزهراء ـ السيوطي ـ ص223.

النساء تعرضن لكثير من المحن وصنوف من الشدة والتعذيب ونجد المرأة تتحمل الأذى في سبيل إيمانها وما تتراجع حتى الموت.

فهذه **أم ياسر**[1] عرضوا عليها مجرد التلفظ بكلمة الكفر، ولكنها أبت، بل أغلظت في القول لمعذبها أبي جهل الذي لم يتورع وهو يتميز غيظاً منها أن يطعن المؤمنة فتلفظ أنفاسها الطاهرة وتكون أول شهيدة في الإسلام، فقد ذاقت طعم الإيمان وحلاوته فاستهانت بالموت في سبيل عقيدتها ووصلت القلب الكبير بالله فهان عليها كل ما تلاقيه على أيدي الظالمين الذين لم يستطيعوا أن ينالوا من عقيدتها وكان الرسول - ﷺ - يمر بها وابنها عمار وزوجها ياسر وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة فيقول «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»، فكانت أم ياسر أشجع من الرجال فلم تنطق بكلمة الكفر مهما حاولوا معها واستمرت على إيمانها حتى راحت شهيدة الثبات على المبدأ والاعتصام بالإيمان جديرة بلقب أول من استشهد في الإسلام على الإطلاق.

وكان موتها سبة في حق أبي جهل الذي يحسب له الرجال ألف حساب استطاعت امرأة ضعيفة مسنة من خدمه أن تنتصر عليه انتصاراً لم يكن يتوقعه أحد، هذه المرأة المسنة الضعيفة كانت قوية الإيمان بالله ورسوله - ﷺ -

---

(1) هي سمية بنت خباط كانت أَمةَ أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان ياسر حليفاً لأبي حذيفة فزوجه سمية فولدت له عماراً فأعتقَهُ وانضم عمار إلى قافلة المؤمنين وأخبَرَ والديه وسرعان ما كانت التلبية، وأصبحت سمية من الأوائل في الإسلام وما أن علم بنو مخزوم بإسلامهم حتى طار صوابهم فانقضوا عليهم يذيقونهم أشد العذاب والتنكيل، وكانت سمية كبيرة في السن ومع ذلك بقيتْ صابرة مؤمنة تتحمل ما لا طاقة لأحد به فكانت نموذجاً طيباً في البطولة والإيمان حيث ضحت بكل ما تملك والجود بالنفس أقصى غاية الجود. الإصابة ج8: 113، الثقات لابن حبان ج3: 184، نساء مجاهدات ص1، نساء الصحابة ـ عبد العزيز الشتادي ص242، نساء حول الرسول - ﷺ - ص197، المرأة في الإسلام - د. برهان زريق ـ ص390، طبقات ابن سعد ج7: 264، أعلام النساء ج2: 261، نساء من عصر النبوة - أحمد خليل جمعة - 342.

فتحملت ما لم يتحمله الرجال فالمرأة بطبيعتها إذا أحبت ضحت بكل ما تملك في سبيل ذلك الحب حتى بالنفس والروح وكيف لا والمحبة التي تحملها أم ياسر كان أساسها قوة الإيمان بالله ورسوله- ﷺ -.

وفاطمة بنت الخطاب[1] أسلمت قديماً قبل أخيها عمر، وكانت تخفي إسلامها خوفاً من أخيها وعندما علم عمر بإسلامها هي وزوجها جاءها شاهراً سيفه واعتدى عليها بالضرب صرخت في وجهه بفضل قوة إيمانها قائلة له: أسلمنا على الرغم منك يا عمر، قالت له ذلك وهو من هو في القوة والشدة حتى إن أقوى رجال قريش يخافونه ويحسبون له ألف حساب، وهذا الموقف العظيم من فاطمة أذهل عمر وكان من أسباب انتظامه في صفوف المسلمين فقد سجل لها التاريخ ذاك الموقف الإيماني العظيم.

ولبابة بنت الحارث[2] أسلمت بعد خديجة قبل زوجها العباس عم الرسول - ﷺ -) بنت الحارث بن حزن الهلالية الكبرى وتكنى أم الفضل من فواضل نساء عصرها كانت زوجة عم الرسول - ﷺ - هاجرت إلى المدينة بعد إسلام العباس وهي التي أرسلت إلى الرسول- ﷺ - يوم عرفة في حجة الوداع بقدح لبن فشرب وهو بالموقف فعرف الناس أن الرسول - ﷺ - لم يكن

---

(1) هي أخت عمر وامرأة سعيد بن زيد بن نفيل نشأت في بيت الخطاب الذي يمتاز بالشرف والرفعة والاعتداد بالحسب والنسب ويتميز أبناؤه بالفضائل العربية إلى جانب القوة فكانت فاطمة من فواضل النساء راجحة العقل أسلمت قبل أخيها وروت عن الرسول - ﷺ - عدداً من الأحاديث، الطبقات ج8: 267، سيرة ابن هشام ج1: 295، الثقات لابن حبان ج3: 335، الإصابة ج8: 161 أعلام النساء ج4: 50، نساء الصحابة ص253، نساء حول الرسول - ﷺ - محمد الاستانبولي ومصطفى الشلبي 186.

(2) أعلام النساء ج4: 277، تهذيب التهذيب ج12: 449، الإصابة ج8: 178، الثقات ج3: 361 خلاصة التذهيب ج3: 332، نساء الصحابة 196، نساء حول الرسول ص250.

صائماً يوم عرفة وقد روت عنه أحاديث وروى عنها ابنها ابن العباس في الكتب الستة.

وغزية بنت جابر بن حكيم العامرية[1] أم شريك فكانت من الذين دخلوا في الإسلام مبكِّراً في مشرق نوره ومطلع أمره وحسن إسلامها، ولم تكتف بذلك بل أخذت تدعو نساء قريش إلى الإسلام سرَّاً، وترغبهن فيه فقد أوقفت حياتها لنشر الدعوة دون كلل أو ملل فكانت تدخل بيوت القريشيات بمكة وتبين لهن خزي الكفر وعار الوثنية وتوضح لهن مآثر التوحيد وما جاء به الإسلام من عز الدنيا والآخرة غير خائفة ولا وَجِلة من سادة قريش وهي تدرك ما ينتظرها من تضحيات وآلام وشاءت قدرة الله بعد فترة من الزمن أن تبدأ فترة الامتحان والتعرض للفتنة فظهر أمرها لأهل مكة وسمع بها سادة قريش فأمروا جماعة من قريش أن يحملوها إلى أهلها لأنها ليست من قريش فخافوا من تعذيبها إن عذبوها وفي الطريق منعوا عنها الطعام والشراب وبالرغم ممّا عانت من شدائد وأهوال في طريقها ظلت ثابتة على إيمانها حتى الذين كانوا يعذبونها بهرتهم قوة إيمانها وما أكرمها الله به من كرامات فاسلموا واعتذروا لها وأوصلوها إلى أهلها وعندما سنحت لها الفرصة هاجرت إلى المدينة متحملة مشاق السفر ومخاطر الطريق فراراً من أهل الشرك والضلال.

---

(1) هي الدوسية العامرية نشأت في بني عامر بن لؤي قريباً من مكة ولما تزوجت أبي العسكر الدوسي انتقل بها إلى مكة فلما بعث الرسول - ﷺ - سبقت زوجها وقومها إلى الإسلام، وبعد وفاة زوجها قيل هي التي وهبت نفسها للنبي - ﷺ - ولكنه لم يتزوجها، وقد روت عنه بعض الأحاديث منها أن النبي - ﷺ - أمر بقتل الأوزاع (حشرة ضارة). التحرير والتنوير ج22: 67، حلية الأولياء الأصبهاني ج2: 66، أسد الغابة ج7: 301، مسند أحمد ج6: 462، الاستيعاب ج4: 1992، المحبر البغدادي 411، ابن ماجة ج2: 1133 البخاري ج7: 146، المدخل لابن الحاج ج1: 234، التهذيب ج12: 472، الإصابة ج4: 465، نساء حول الرسول ص245.

وأسماء بنت أبي بكر الصديق[1] أخت عائشة أم المؤمنين الصحابية القرشية أم عبد الله كانت من أشجع النساء بل لها موقف لا يقدر عليه أشجع الرجال فعندما فشلت خطة قريش في اغتيال الرسول - ﷺ - جاء أبو جهل إلى بيت أبي بكر وسأل أسماء عن أبيها فقالت له في شجاعة وثبات: لا أعرف شيئاً وكانت تتكلم معه بكل شجاعة وثقة بالنفس واعتماداً على الله أولاً، فلطمها لطمة شديدة أطارت قرطها من أُذنيها ولكن ما أطارت صوابها ولا سرها فقد استطاعت وهي شابة قبل زواجها أن تكتم سر الغار الذي لاذ به الرسول - ﷺ - وصاحبه في هجرتهما إلى المدينة ولم يستطع المشركون بوسائلهم كلها ومنها وسيلة الضرب والإيذاء الشديد أن يحملوها على البوح بهذا السر، فكانت أسماء تخرج بالليل تحمل الزاد والماء للرسول - ﷺ - وأبيها، ولقد شغلها الخوف والعجلة عن البحث عن رباط تربط به قربة الماء وسفرة الزاد فحلت المشكلة بسرعة بديهة فأخذت نطاقها وشقته وشدت به الطعام فسماها الرسول - ﷺ - ذات النطاقين، وكان ذلك الموقف مضرب الأمثال في الشجاعة والتضحية في سبيل الإيمان والإسلام، ثم بعد ذلك هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير فولدته بعد الهجرة فكان أول مولود في الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وكانت لها مواقف رائعة في المدينة سوف تذكر في حينها.

---

(1) هي التميميّة الصحابية وأمها قتيلة القرشية طلقها أبو بكر في الجاهلية وكانت لأسماء مواقف مشرفة في المدينة وفي الغزوات والحياة الاجتماعية تدل على قوة إيمانها وصدقها وصبرها على المكاره ومصائب الحياة كما أنها روت عن الرسول - ﷺ - بعض لأحاديث وروى عنها ابن العباس وابناها عبد الله وعروة وأخرج لها الستة. الطبقات ج8: 249، الإصابة ج4: 229، مرآة الجنان ـ اليافعي ـ ج1 328، الدرر المنثور 33، خلاصة التذهيب ـ الخزرجي ـ ج3: 374، موسوعة الرجال ج4: 306، تهذيب الأسماء واللغات ـ محي الدين النوري ج1: 82، العبر في خبر من غبر ـ الذهبي، البخاري ج7: 46، التهذيب ج12: 379، نساء من عصر النبوة ـ أحمد خليل جمعة ـ ص25.

وهناك الكثير من النساء هاجرن إلى الحبشة الهجرتين تاركات الأهل والأحبة في سبيل الدين وتعرضن للمشقة وتعب السفر والغربة وقد تحملن ذلك في شجاعة وقوة حتى خلد التاريخ ذكرهن. وأيضاً من النساء اللاتي هاجرن إلى الحبشة أم أيمن[1] بركة بنت ثعلبة حاضنة الرسول - ﷺ - يقول لها! يا أماه ويقول: من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن، وقد هاجرت الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة حيث هاجرت إلى المدينة وحيدة تقطع البيداء وهي صائمة في يوم شديد الحر، وكانت معه في جميع مراحل حياته وحضرت بعض الغزوات.

وهذه سودة بنت زمعة[2] التي سبقت جميع قومها إلى الإسلام كانت زوجة السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو العامري أسلمت مع زوجها،

---

(1) أم أيمن اشتراها عبد الله لتخدم زوجته آمنة وتشاء الأقدار أن تشهد أم أيمن وفاة آمنة وهم في طريقهم إلى مكة بعد زيارة رمس الحبيب عبد الله نفذ قضاء الله في أم النبي - ﷺ - بين يدي خادمتها بركة وابنها الطفل فأسرعت إلى الطفل تضمه إلى صدرها ملتاعة وتواري جثمان سيدتها الطاهرة التراب بين البكاء والنحيب، ثم حملت الطفل منقذ البشرية ومخرجها من الظلمات إلى النور حتى وصلت به مكة، وكان - ﷺ - يرتاح إليها ويناديها يا أماه، ولما تزوج السيدة خديجة اعتقها وتزوجها عبيد بن الحارث الخزرجي فولدت له أيمن الذي جاهد في سبيل الله واستشهد في حنين، وبعده تزوجت زيد بن الحارثة فأنجبت أسامة الذي كان موضع حب الرسول - ﷺ - وقد أبلى أبناؤها في سبيل الدعوة بلاءً حسناً كما أنها روت بعض الأحاديث. أعيان النساء 58، تقريب التهذيب ج2: 591. تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ج2، 357.

(2) سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية أمها الشموس الأنصارية من بني عدي بن النجار كانت طيبة رحيمة، وكان حبها للرسول - ﷺ - مثالياً فهي لا تسعى إلا في تحقيق سعادته حتى أرادت أن تهب يومها لعائشة، وقد روت عنه - ﷺ - بعض الأحاديث وأخرج لها البخاري وأبو داود والنسائي، سير أعلام النبلاء ج2: 266، خلاصة التذهيب ج3: 384، الإصابة ج8: 117، سطور مع العظيمات، موسوعة الرجال ج4: 330، الدرر المنثور ص253، الثقات ج2: 138، الإصابة ج4: 250.

ولما اشتد اضطهاد قريش لهما هاجرا إلى الحبشة وتركا المال والأهل في سبيل الله ثم مات زوجها بمكة، بعد الرجوع من الحبشة بقيت خائفة أن يفرض عليها أهلها الرجوع إلى الكفر وكانت مسنة تزوجها - ﷺ - رحمة بها ومكافأة لها على حسن إسلامها وتمسكها به، وهاجرت إلى المدينة وبقيت زوجته - ﷺ - حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وإنَّ منهن نماذج كان آباؤهن وأعمامهن وإخوانهن كفاراً من الزعماء الذين كانوا يقودون حركة المناوأة للنبي - ﷺ - ودعوته ويؤذون المؤمنين فهاجر هؤلاء النسوة مع أزواجهن فراراً بدينهن وفي سبيل عقيدتهن وتركن الأهل والبيوت القرشية التي كانت تتقاسم الشرف في الجاهلية ومن تلك النماذج: أم سلمة[1] وزوجها أبو سلمة وأم أبي سلمة برة عمة الرسول - ﷺ - فهو ابن عمته وأخوه من الرضاعة[2]، كانت أم سلمة تتميز بعقل راجح تعجب كلما رأت قومها يشكلون بأيديهم من الحجارة الصلدة التي لا تعي آلهة يعبدونها ويقدمون لها القرابين وعندما سمعت بظهور نبي يدعو إلى عبادة الله وحده وجدت أن الدين الجديد يهفو إليه قلبها فاختلفت إلى دار خديجة تستمع إليها وهي تقص على نساء قريش كيف جاء الوحي محمداً - ﷺ - أسلمت أم

---

(1) أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة كثر خطابها من أبطال قريش ولكنها تخيرت ابن عمها عبد الله بن المغيرة أمه برة بنت عبد المطلب عمة الرسول - ﷺ - وهو أخو الرسول - ﷺ - من الرضاعة وفي هجرته ابتلي أشد البلاء حيث منعت منه زوجه أم سلمة، وخلع ذراع ولده سلمة ورغم ذلك سار مهاجراً إلى ربه حتى جعل الله له فرجاً ومخرجاً عندما لحقت به زوجه وولده في المدينة، البخاري ج7: 12، أسد الغابة ج5: 590، الاستيعاب ج4: 1939، عيون الأثر ج2: 62، نسب قريش 317، الثقات ج2: 139، جمهرة أنساب العرب 134، خلاصة التذهيب ج3: 394، نساء الصحابة ص70، موسوعة الرجال ج4: 354، الدرر المنثور 531، الإصابة ج4: 250.

(2) طبقات ابن سعد ـ ج8 ص 45.

سلمة وتبعها زوجها وهاجرا إلى الحبشة فراراً بدينهما ثم عادا إلى مكة، وعندما أرادا الهجرة إلى المدينة تعرضا لمأساة مؤلمة حيث منَعَهَا أهلها من الهجرة وأخذ أهل زوجها ابنها منها وهاجر زوجها وحده فتحملت وصبرت حتى جمع الله شملهم، وفي المدينة جرح زوجها في أحد فكانت تلك الجراح سبباً في وفاته، وحاول بعض الصحابة الزواج بها لما علموا من مكانتها وسبقها إلى الإسلام، ولكنها رفضت الزواج وآثرتْ أن تقاوم الحياة وحدها فقد كانت قوية الشخصية عميقة الإيمان فمد الرسول - ﷺ - إليها يده الرحيمة فاستجابت له وصحبته في بعض غزواته وضربت أروع الأمثال في التضحية والرأي الصائب وقد روت عنه أحاديث وروي عنها وسوف نذكر في القسم المدني بعض مواقفها.

وهذه أم حبيبة[1] رملة بنت أبي سفيان، أ مها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان أسلمت رملة قديماً بمكة وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش تاركة الأهل والديار هرباً بدينها من أذى قومها وسطوة أبيها، فقد أعلنت على الملأ أن حبها لرسول الله - ﷺ - يفوق حبها لأهلها وعشيرتها، وفي الحبشة واجهت امتحاناً رهيباً؛ فقد ارتد زوجها عن الإسلام وتنصر وحاول إقناعها بذلك، ولكن إيمانها العميق جعلها تتمسك بالإسلام، فانفصلت عن زوجها بعد أن فشلت في إرجاعه إلى الإسلام، وواجهت ذلك الامتحان ثابتة على إسلامها برغم غربتها ووحدتها في بلاد الغربة، ولم تفكر في

(1) الاستيعاب ج4: 1843، التهذيب ج12: 419، المحبر 88، أعلام النساء ج1: 661، سيرة ابن كثير ج3: 273، سير أعلام النبلاء ج2: 220، الثقات ج2: 140، أسد الغابة ج7: 115، موسوعة الرجال التسعة ج4: 476، نساء الصحابة سطور مع العظيمات تاريخ مدينة دمشق تراجم النساء ص71، الإصابة ج4: 305.

الرجوع إلى مكة لأن والدها ألدَّ أعداء الإسلام سيفتنها عن دينها كما فعل مع غيرها ولا تستطيع الذهاب إلى المدينة، ولهذا اعتكفت في دارها مع طفلتها سحابة نهارها في قراءة القرآن وتقوم الليل تناجي ربها وتشكو إليه حالها وهو أعلم بها، فهل تستطيع المرأة في عصرنا وهي بين أهلها مطمئنة مستقرة أن تعارض زوجها وتقف في وجهه إذا ارتكبَ المحرمات ومارس الممنوعات من خمر وأكل أموال الناس بالباطل، وهل يحدث أن تطلق المرأة أو تطلب الطلاق لأن زوجها لا يطبق الشريعة في حياته، إن الذي يحدث أن الطلاق يكون لأسباب تافهة ولأمور دنيوية وتكون سبباً في تشريد الأطفال وذلك نتيجة لقصر نظر الرجال والنساء وللبعد عن الإسلام وتعاليمه. ونرجع إلى أم حبيبة فعندما سمع الرسول - ﷺ - بقصتها بعثَ إلى النجاشي ملك الحبشة يخطبها له دون أن يراها - وهذا يدل على أن أسباب الزواج عند الرسول - ﷺ - لأغراض سامية رفيعة -، وعقد له عليها خالد بن سعيد بن العاص أحد أقارب أم حبيبة، وتزوجها - ﷺ - إكراماً لها ومكافأة على شجاعتها وثباتها على دينها ولعل ذلك الزواج يخفف من حدة عداوة قريش للدين الإسلامي وعندما بلغ والدها نكاح ابنته قال: ذلك الفحل لا يقرع أنفه - يعني أنه مرتاح لذلك الزواج - فأصبحت أماً للمؤمنين، وكان حبها للرسول - ﷺ - شديداً واحترامها له كبيراً ومما يدل على ذلك عندما جاء أبو سفيان إلى المدينة يطلب من الرسول - ﷺ - العفو عمّا حدث منه ودخل على ابنته أم حبيبة فمنعته أن يجلس على فراش الرسول - ﷺ - وهو سيد قريش قائلة له: هذا فراش رسول الله - ﷺ - وأنت رجل مشرك. وأيضاً طلبت منه - ﷺ - أن ينكح أختها فقال: «أو تحبين ذلك، فقالت: نعم أحب أن تشاركني في الخير أختي، فقال - ﷺ - لا يحل لي، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، ثم قال - ﷺ -: «لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن»[1]، وعندما خرج - ﷺ - لفتح مكة كانت تدعو له بالنصر مع أنَّه ذاهب لقتال أبيها وأهلها.

وأسماء بنت عميس[2] المهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين أسلمت قديماً وسبقت أهلها في ذلك وأمها هند بنت عوف الكنانية، كانت من أكرم الناس أصهاراً فالرسول - ﷺ - تزوج أختها ميمونة بنت الحارث وتزوج عمه حمزة أختها سلمى بنت عميس والعباس أختها لبابة الكبرى أم الفضل، وأسماء هذه هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ثم هاجرا إلى المدينة مع بقية المهاجرين فوصلوا فتح خيبر وفرح الرسول - ﷺ - بمقدمهم وقال: لا أدري بأيهما أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ واشترك جعفر في الغزوات حتى استشهد في مؤتة وكان شهيد مؤتة وقائدها البطل وتزوجت أسماء زوجته بعده وقد روت عن الرسول - ﷺ - بعض الأحاديث.

وليلى بنت أبي حذيفة[3] من فواضل نساء عصرها أسلمت وبايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عامر بن ربيعة الغزي، ورجعا عندما سمعا بإسلام عمر ولكن قريشاً أنزلت بهما أشد العذاب فاستأذن عامر الرسول - ﷺ - بالرجوع إلى الحبشة ثانية بعد ذلك هاجرا إلى المدينة وكان عامر هذا قد سمع زيد بن نفيل يقول: أنا أنتظِرُ نبياً من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه فإن رأيته فأقرئه مني السلام وأخبره نعته،

---

(1) سورة النساء آية 23، البخاري ج7: 6 ـ 10.

(2) الطبقات ج8: 283، أعيان النساء 36، تقريب التهذيب ج2: 586، نساء الصحابة 216، سيرة ابن هشام ج1: 235، تهذيب الأسماء ج1: 330، موسوعة الرجال التسعة ج4: 307.

(3) أعلام النساء ج4: 302، نساء الصحابة 257.

فلما أخبر عامر الرسول - ﷺ - بقول زيد بن عمرو قال الرسول - ﷺ - قد رأيته في الجنة.

وبركة بنت يسار[1] هاجرت مع زوجها قيس بن عبد الله الأسدي إلى الحبشة.

وفاطمة بنت صفوان[2] هاجرت مع زوجها عمرو بن سعيد إلى الحبشة.

وهناك نساء كثيرات أسلمن وبقين بمكة حتى هاجرن إلى المدينة وفي أثناء ذلك تعرضن للأذى والاضطهاد من الأهل والعشيرة، ورغم ذلك ثبتن على دينهن حتى يسَّرَ لهن الله الهجرة إلى المدينة ومن تلك النسوة:

أروى بنت عبد المطلب[3] عمة الرسول - ﷺ - أسلمت بمكة وهاجرت للمدينة وكانت تعضد النبي - ﷺ - ذكروا أن ابنها طليباً بن عمير أسلم ثم دخل على أمه أروى فقال: اتَّبعْتُ محمداً وأسلم فقالت له أمه: إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك وأسلمت هي أيضاً وأخذت تعضد النبي - ﷺ - بلسانها وتحض ابنَها على نصرته والقيام بأمره، وسمع أبو لهب بخبر إسلامها فأقبل حتى دخل عليها فقال: كيف تركْتِ دين عبد المطلب فقالت: قد كان ذلك فقم دون ابن أخيك وعضده وامنعه فإن يظهر أمرُه فأنت بالخيار أن تدخُلَ معه أو تكون على دينك فإن يصبْ كنت أعذرت في ابن أخيك فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب كافَّةً؟ قد جاء بدين محدث ثم انصرف.

و كانت أروى صاحبة الشعر الجيد فقد رثت والدها بقولها:

---

(1) الثقات ج3: 28.

(2) الثقات ج3: 335.

(3) سير أعلام النبلاء ج2 ص 262، الطبقات ج8 ص 42، أعيان النساء ص28، الثقات ج3 ص 25، نساء الصحابة ص137، من شاعرات العرب ـ عبد البديع صقر ص 6.

بكـت عينـي وحـق لهـا البكـاء عـلى سـمح سـجيته الحيـاءُ

وقالت في رسول الله - ﷺ -:

ألا يـا رسـول الله كنـت رجاءنـا وكنـت بنـا بـراً ولم تـك جافيـاً

وكنـت رحـيماً هاديـاً ومعلـماً ليبكِ عليك اليوم من كـان باكيـاً

وأميمة بنت عبد المطلب[1] عمته - ﷺ - كانت صـاحبة فـصاحة وذكـاء وبلاغة وشعر وهي أم زينب بنت جحـش تزوجهـا في الجاهليـة جحـش بـن خزيمة ولدت له عبد الله الذي شهد بدراً وزينب وحمنة وقد بكت أباهـا عبـد المطلب بقصيدة مؤثرة.

وعاتكة[2] عمته - ﷺ - أيضاً من أوفر النساء عقـلاً وأحـسنهن تـصوراً وتبصُّراً كانت زوج أبي أمية بن المغيرة والد أم سلمة قد أسلمت وهي صـاحبة الرؤيا المشهورة قبل غزوة بدر، حيث رأت رؤيا أفزعتها وعظمت في صـدرها فأخبرت بها أخاها العباس بن عبد المطلب وقالت له: إني أتخوف أن يـدخل عـلى قومك منها شر ومصيبة وعندما سمع بها أبو جهل قال يا بني عبد المطلب أمـا رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم وسخر منها، ولكن الرؤيا تحققـت وكانت بدر التي انتصر فيها المسلمون وانهزم المشركون. ومات فيها أبو جهل.

وهذه **صفية بنت عبد المطلب**[3] القرشية الهاشمية أخت حمزة أمهـا هالـة بنت وهب خالة النبي - ﷺ - فهي عمته وابنة خالته تزوجت العوام بـن خويلـد

---

(1) الطبقات ج8 ص46، شاعرات العرب ص 17، الدرر المنثور ص 70.

(2) الإصابة ج4: 358، الطبقات ج8: 44، أسد الغابة ج7: 185، الـدرر المنثـور 319. معجـز محمـد رسول الله ﷺ ـ الثعالبي ج2 ص190.

(3) الإصابة ج4: 379، سيرة ابـن هـشام ج2: 143، الطبقـات ج8: 41، الثقـات ج3: 197، الـدرر المنثور 261، من الـشاعرات العـرب 201، النـساء في سـطور 68، أسـد الغابـة ج7: 172، نـساء الصحابة 139.

أخي خديجة، ولدت له الزبير، فلما أسلم الزبير قالت له: اثبتْ مع ابن خالك، وكان قلبها مع ابن أخيها وكثيراً ما كانت تنهر أخاها أبا لهب إذا عرض لرسول الله - ﷺ - أو آذاه، ولما أسلم حمزة فرحت بإسلامه وطلبت منه الثبات مع ابن أخيه محمد - ﷺ - وهي أيضاً شاعرة معدودة بين شعراء العرب البارزين في ميدان الرثاء فقد رثت والدها وغيره وقد دخلت في الإسلام مبكراً وهاجرت مع ولدها الزبير وشهدت مع الرسول - ﷺ - عدة غزوات أو مواقع للجهاد وكان لها موقف بطولي يوم الأحزاب سوف يذكر في حينه، كما أنها روت عن الرسول - ﷺ - عدة أحاديث ورويَ عنها الكثير.

وفاطمة بنت أسد بن هاشم[1] أم علي بن أبي طالب وهي التي تربى النبي - ﷺ - في بيتها فهي زوجة عمه أبي طالب وكان وجوده - ﷺ - في بيتهم خيراً وبركة فقد رأت فاطمة أن محمّداً إذا أكل مع أولاد عمه فإن البركة تحل رغم قلة الطعام قالت فاطمة بنت أسد: ما شبع أبناؤها من طعام قط إلا عندما أصبح - ﷺ - يأكل معهم، وكان ينمو نموّاً يفوق نمو من كان في مثل سنه وتقول عنه: كان أفضل قريش مروءة وأحسنهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش حتى سماه قومه الأمين قالت فاطمة لزوجها يا سيد قومه إنَّه الصادق الأمين وأنت أحق من أجابه قال أبو طالب: ما يساورني في صدقه أدنى ريب، أما هي فقد آمنتْ وهاجرت إلى المدينة وكان - ﷺ - يزورها ويحترمها ويقول: إنَّهُ لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها وقال - ﷺ - أخبرني جبريل عن ربي أنها من أهل الجنة وقد روت عنه الكثير من الأحاديث.

---

(1) أعلام النساء ج4: 33، الثقات ج3: 336، الطبقات ج8: 51، سير أعلام النبلاء ج2: 118، نساء الصحابة 172، الدرر المنثور 358، نساء من عصر النبوة ـ أحمد خليل جمعة ـ ص 18.

وضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب[1] الهاشمية القرشية بنت عم الرسول - ﷺ - أمها عاتكة بنت أبي وهب بن مخزوم كانت عند المقداد بن الأسود فولدت له عبد الله وكريمة أسلمت وهاجرت إلى المدينة روت عنه- ﷺ - أحاديث وروى عنها ابنتها كريمة وسعيد بن المسيب وعروة وأنس بن مالك.

وأم رومان بنت عامر بن كنانة[2] أم عائشة قيل اسمها زينب وقيل وعد أسلمت وبايعت وهاجرت فكانت من المؤمنات العابدات عاشت في بيت أبي بكر الصديق الذي كان أقرب الناس إلى الرسول - ﷺ - فكانت تعيش كل الأحداث، وقامت على تربية أولادها أحسن تربية روت عنه - ﷺ - بعض الأحاديث.

وأروى بنت كريز بن عبد شمس[3] والدة عثمان بن عفان أمها البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول - ﷺ - أسلمت وهاجرت بعد ابنتها أم كلثوم تزوجها عفان فولدت له عثمان وآمنة ثم تزوجها عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد وعمارة وخالد وأم كلثوم وغيرهم، كانت عاقلة ورعة لها صحبة روت عنه - ﷺ-.

وسعدى بنت كريز[4] خالة عثمان بن عفان اشتهرت بالتصوف، كانت عازفة عن عبادة الأصنام، قالت لعثمان: إن محمداً قوله صلاح وأمره نجاح فدينه هو المصباح، وكان لكلامها أعمق الأثر في نفس عثمان فما كاد يقابله حتى آمن به واعتنق الإسلام.

---

(1) أعلام النساء ج2: 353، أسد الغابة ج7: 178، خلاصة التذهيب 386، سير أعلام النبلاء ج2: 276، الطبقات ج8: 46، التاريخ الصغير ج1: 83، الثقات ج3: 201.

(2) مائة أوائل من النساء ـ سليمان سليم البواب ـ 180، الإصابة ج8: 265، التهذيب ج12: 467، أنساب العرب لابن حزم، نساء الصحابة 285، الثقات ج3: 460.

(3) الإصابة ج4: 228، الطبقات ج8: 229، الدرر المنثور 36، المحبر 14.

(4) سطور مع العظيمات 71.

وفاختة بنت أبي طالب[1] وقيل اسمها هند الهاشمية وهي تكنى أم هانئ، من فواضل النساء أسلمت وروت عنه - ﷺ - الأحاديث وأخرج لها الستة وهي التي قبل الرسول - ﷺ - إجارتها يوم فتح مكة للحارث بن هشام قال - ﷺ - قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ.

وأم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط بن عبد مناف[2] أخت عثمان بن عفان لأمه سبقت قومها إلى الإسلام وظلت تنتظر الفرصة السانحة لتلحق بالرسول - ﷺ - فخرجت في هدنة الحديبية غير خائفة ولا عابئة بأهلها وبعد جهد جهيد وعناء شديد وصلت إليه وخرج أخواها في أثرها يطلبانها فمنعها الله منهما بالإسلام ونزل فيها قرآنٌ يتلى وقيل نزل في امرأة أخرى و-سيتم ذكره في القسم المدني-، وعندما هاجرت لم يكن لها زوج بمكة فتزوجت في المدينة وروت عنه - ﷺ - أحاديث وأخرج لها البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي.

وخولة بنت حكيم بن أمية[3] كانت صالحة فاضلة صحابية مشهورة يقال لها خويلة وهي التي اقترحت عليه - ﷺ - أن يتزوج بعد خديجة وخطبت له سودة ثم عائشة، وزوجها عثمان بن مظعون من الصحابة الذين حرموا الخمر

---

(1) الجرح والتعديل ج9: 407، أعلام النساء ج4: 14، الإصابة ج3: 503، الطبقات ج8: 47 سيرة ابن هشام ج2: 36، التهذيب ج12: 481، الدرر المنثور 357، تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ـ ج2: 366.

(2) الطبقات ج8: 230، أعلام النساء ج4: 255، الإصابة ج4: 490، التهذيب ج12:477، الاستيعاب ج4: 488 أسد الغابة ج7: 366، نساء الصحابة 288، الثقات ج2: 438، المحبر 407، موسوعة رجال الكتب التسعة ج4: 484، تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ـ ج2: 364.

(3) الإصابة ج4: 291، أعيان النساء 224، تقريب التهذيب ج2: 597، التهذيب ج12: 414 موسوعة الرجال التسعة ج4: 320.

في الجاهلية لأنها تذهب العقل، روت عنه - ﷺ - وروى عنها سعيد بن المسيب وأخرج لها الستة.

وجدامة بنت جندل الأسدية[1] أخت عكاشة بن محصن لأمه أسلمت قديماً بمكة وبايعت وهاجرت إلى المدينة مع أهلها وكانت من الصحابيات روت عنه- ﷺ - الأحاديث وأخرج لها أبو داود والنسائي وابن ماجة.

وضباعة بنت عامر[2] بن قرظ العامرية أسلمت بمكة، وقد نصرته في جملة مواطن بلسانها وفعلها ومن ذلك أنه - ﷺ - قدم على بني عامر ودعاهم إلى الإسلام فبينما هم كذلك جاء رجل فغمز شاكلة ناقته فنقصت به، وعندهم يومئذ ضباعة بنت قرظ كانت ممن أسلمن جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت: يا بني عامر ولا عامر لي أيصنع هذا به ولا يمنعه أحد منكم فقام ثلاثة من بني عمها فضربوا الرجل، فقال - ﷺ - «اللهم بارك في هؤلاء» فأسلموا وماتوا شهداء، ولها نصرات كثيرة.

وهذه **الشفاء العدوية**[3] كانت متميزة في ذلك العهد فهي تمثل المرأة المثقفة المتخصصة في معالجة الأبدان والأرواح والعقول وهي صحابية ذات عقل وجودة رأي، فقادها عقلها ويقظة روحها إلى الإسلام فأسلمت قبل الهجرة وبايعت في وقت كانت فيه البيعة مصدر شقاء وعذاب لمن يفعلها فكانت ترقى الناس في الجاهلية وتعالج أبدانهم وأرواحهم وحين أسلمت وهاجرت خافت

---

(1) الطبقات ج8: 243، الاستيعاب ج4: 262، أسد الغابة ج7: 48، أعلام النساء ج1: 157، أعيان النساء ج2: 593، خلاصة التذهيب ج3: 377.

(2) سير أعلام النبلاء ج2: 276، الدرر المنثور 376.

(3) الإصابة ج4: 3411، مائة من أوائل النساء 194، الطبقات ج8: 268، نساء الصحابة 245، الإصابة ج8: 121، خلاصة التذهيب 385، موسوعة الرجال التسعة ج4: 331، مائه أوائل من النساء أعلام النساء ج2: 300، المرأة المسلمة والدعوة إلى الله ـ الشعراوي ص14.

أن تكون الكلمات التي كانت تقرؤها مخالفة للدين فجاءت إلى النبي - ﷺ - تستشيره في رقياتها فلم يجد في كلامها أي شرك فوافق على ذلك بالإضافة إلى ذلك قدرتها على الكتابة بالعربية ولهذا أقطعها الرسول - ﷺ - داراً فنزلتها مع ابنها وأخذت بتعليم نساء المسلمين القراءة والكتابة مبتغية بذلك الأجر والثواب وكانت حفصة زوج الرسول- ﷺ - من تلميذاتها، حيث جاء بها عمر لتعلمها القراءة والكتابة وبعد أن تزوجت حفصة الرسول - ﷺ - طلب الرسول - ﷺ - من عمر أن يستمر مجيء الشفاء إلى بيته لتعليم حفصة بقية العلم، فقال عمر لقد تعلمت يا رسول الله فقال - ﷺ - «لتجوده ولتحسنه»، وكانت الشفاء أيضاً تدعو إلى الإسلام وتنصح ولا تتوانى عن تبيان الأخطاء حتى إنَّ سيدنا عمر بن الخطاب ولاها شيئاً من أمور السوق ثقة منه بدورها ناهيك أنها كانت لها مكانة عالية واحترام كبير لدى الصحابة والصحابيات بالإضافة أنها كانت راوية صادقة وأمينة لأحاديثِ الرسول - ﷺ - وبذلك أصبحت أسوة حسنة لكل فتاة مسلمة.

وسبيعة بنت الحارث القرشية[1] التي أسلمت وهاجرت بعد صلح الحديبية.

وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة[2] المخزومي أخت خالد بن الوليد أسلمت يوم فتح مكة وروت عنه - ﷺ - الأحاديث.

وبسرة بنت صفوان بن نوفل[3] الأسدية كانت السيدة خديجة عمة أبيها لها سابقة وهجرة روت عنه - ﷺ الأحاديث وروى عنها عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره وأخرج لها أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجة.

---

(1) الإصابة ج8: 241، الطبقات ج7: 315.

(2) الإصابة ج8: 261، الطبقات ج8 ص261،

(3) خلاصة التذهيب ج3: 376، موسوعة الرجال التسعة ج4: 310، الثقات ج3: 36.

وخالدة بنت الأسود[1] بن وهب بن زهرة أسلمت بالمدينة وبايعت الرسول - ﷺ - وهي إحدى خالات الرسول - ﷺ - كانت مؤمنة حسنة الهيئة، صالحة ومات أبوها كافراً فقال الرسول - ﷺ - «سبحان الله الذي يخرج الحي من الميت» يعني المؤمن من الكافر.

وهذه **حمنة بنت جحش**[2] أخت زينب بنت جحش الأسدية زوجة الرسول - ﷺ - وأمها أميمة عمته - ﷺ - كانت من المبايعات وشهدت أحداً، كانت زوج مصعب بن عمير فقتل في أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله لها أحاديث ومواقف مشرفة في المدينة بعد الهجرة.

ودرة بنت أبي لهب الهاشمية القرشية[3] أمها أم جميل حمالة الحطب، أسلمت درة وهاجرت إلى المدينة، قالت بعض النسوة: إنها بنت أبي لهب ولا تغني عنها هجرتها فأتت النبي - ﷺ - فذكرت له ذلك، فقال - ﷺ -: «ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي لا يؤذى حي بميت»، تزوجت درة في المدينة دحية الكلبي بن فضالة القطاعي الذي بعثه الرسول - ﷺ - إلى قيصر صاحب الروم، وقد روت درة عن الرسول - ﷺ - أحاديث، اخرج لها أحمد في المسند[4].

وليلى الأخيلية[5] من شواعر العرب المتقدمات في الإسلام كانت جميلة فصيحة.

---

(1) نساء الصحابة 144، الثقات ج3: 115.

(2) أعلام النساء ج1: 251، أسد الغابة ج7: 69، الثقات ج3: 69، الإصابة ج4: 275، الأسماء واللغات ج1: 340، المحبر 402.

(3) أسد الغابة ج7: 103، أعلام النساء ج1: 350، نساء الصحابة 159.

(4) من شاعرات العرب ص3.

(5) من شاعرات العرب ص 345.

وفاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية[1] صحابية مشهورة من المهاجرات الأوائل أخت الضحاك أخرج لها الستة وكانت ذات جمال وكمال وعقل راجح، وعندما تأيمت حيث طلقها زوجها ثلاثاً ولم يعطِها شيئاً وجاءت للرسول - ﷺ - تشكو ذلك فقال لها - ﷺ - «ليس لكِ عليه نفقة إنما السكنى والنفقة للتي لزوجها عليها رجعة» ثم قالت خطبني بعد ذلك عدة صحابه وخطبني الرسول - ﷺ - لأسامة بن زيد فآثرتُ أسامة على غيره فشرفني الله به وكان زوجاً يمتاز بالخلق والدين[2].

وإنني لا أستطيع ذكر كل النساء اللاتي تعرضن للأذى والاضطهاد والهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة وترك الديار والأهل في سبيل دينيهن والمحافظة على إيمانهن لأن العدد كبير ولهذا أكتفي بهذا العدد مثالاً لغيرهن من النساء في ذلك العهد.

---

(1) التهذيب ج12: 444، أعلام النساء ج4: 92، خلاصة التذهيب ج3: 389، كتاب الاستيعاب ج4: 371، تهذيب الأسماء واللغات ج2: 353.

(2) موسوعة الرجال التسعة ج4: 344، أسد الغابة ج7: 239، أعلام النساء ج4: 190.

الفصل الثاني

تكوين الدولة الإسلامية بالمدينة
ودور المرأة في ذلك

قبل الانتقال للحديث عن المرأة في المدينة المنورة أريد أن أذكر أنه في بيعة العقبة مع أهل المدينة قبل هجرته - ﷺ - إلى المدينة كانت امرأتان مع الرجال بايعتا الرسول - ﷺ - وهما أم عمارة نسيبة بنت كعب وأم منيع أسماء بنت عمرو، وهذا يدل على أن نساء أهل المدينة شاركن في هذا الأمر من البداية فالبيعة تعني الإيمان والتصديق والإقرار واليقين بأن هذا الدين حق، وأن غير هذا الطريق - طريق الوحدانية - زيغ وضلال، كما أنَّ في مشاركتها في هذا الأمر يساعد على إعدادها لتكون داعية، فالبيعة انتقال حقيقي لتحمل أعباء حياة جديدة بكل أبعادها ومسؤوليتها، والدور المدني أعطى للإسلام وجهاً جديداً طوى الدور المكي الذي كان الإسلام فيه دعوة دينية تقوم على الدعوة لعبادة الله وحده لا شريك له أما الدور المدني فقد كان فيه التشريع والتنظيم فأصبح الإسلام ديناً ودولة، عبادة وتشريعاً. وعندما أخذ - ﷺ - في تأسيس دولة الإسلام بالمدينة كان للمرأة مواقفها الرائعة الخالدة، فقد التزمت بخدمة مجتمعها في أثناء الحرب وفي فترات الصلح والهدنة وفي أوقات السلم، وإن كانت مطالبة أيضاً بالعمل داخل بيتها[1] لتربيةِ الأبطال والفرسان فقد انبرت المرأة المسلمة للمساهمة في الدفاع عن الدعوة الإسلامية، فالإسلام يدعو إلى

(1) المرأة في القرآن وحقوقها ـ عبد السلام التونجي ـ 79.

السلام وجعل الله تحية عباده السلام ليغرس في القلوب حب السلام والعمل على السلام والرسول - ﷺ - بقي في مكة أكثر من عشر سنوات بعد البعثة يدعو إلى الله بالحسنى ويجادل بالأدلة والبراهين قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾[1]، ولكن إذا وقف أحد في سبيل نشر الدعوة وأراد أن يصدها عن المضي في طريقها فلابد من تطهير الأرض من شره لتصل هداية الله إلى النفوس وتعلو كلمة الحق، ويأمن الناس على حريتهم الدينية في الإيمان بالله الواحد ولذلك شرع الجهاد لدفع عدوان الظالمين، ولهذا زحفت المرأة إلى ساحات الوغى تعتني بالجرحى وتسقي المقاتلين وتجهز الطعام، وتدفن القتلى، وتوقد نار الحماسة والإقدام في صدور الفرسان بل شاركت في القتال أيضاً وقاسمت الرجال شرف الجهاد وثوابه، وكان ذلك في جو ملائكي طاهر من الطرفين، فكن مجاهدات ممرضات مواسيات، فقد ضربت المرأة المثل الأعلى في الاستشهاد في سبيل العقيدة ونصرة الحق وإعلاء كلمة الله

ومن هاتيك النساء اللاتي أبلين في الجهاد والانتصار على الأعداء:

أم عطية الأنصارية[2] نسيبة بنت الحارث التي كانت تغسل الموتى بالمدينة أسلمت وبايعت واشتركت في الجهاد قالت: خرجت مع الرسول- ﷺ - سبع مرات كنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى، وقيل نسيبة بضم النون هي أم عطية ونسيبة بفتح النون هي أم عمارة، وفي أم عطية قيل: إنَّها بنت كعب وقيل بنت الحارث وقد روي لها عن الرسول - ﷺ - عدة أحاديث.

---

(1) سورة النحل، الآية: 125.

(2) أسد الغابة ج7: 368، تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ـ ج2: 364.

وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب[1] السيدة الفاضلة المجاهدة إحدى نساء بني مازن النجار أخوها عبد الله من البدريين وأخوها عبد الرحمن من البكائين، وكانت إحدى المرأتين رحلتا مع طلائع الأنصار إلى مكة وشهدتا ليلة العقبة ولقد كانتا أول نساء الأنصار دخولاً في الإسلام كما شهدت بعد ذلك عدة مواقع فكانت مجاهدة شجاعة جريئة لا تهاب الموت في سبيل الله تضع روحها في كفها وتقدمها رضية النفس منشرحة الصدر حتى قطعت يدها في أثناء جهادها فلم تحفل بها، كما شهدت أحداً هي وزوجها وأبناها وكانت بطلة في ذلك اليوم، خرجت تسقي الظماء وتأسو الجرحى، وعندما انهزم المسلمون شهرت سيفها مع زوجها وولدها عبد الله فقد قاتلت أشد القتال وجرحت عدة جروح حتى إنَّ الرسول - ﷺ - طلب من ابنها أن يعصب جرحها وقال لهم - ﷺ -: «بارك الله عليكم من أهل بيت» وطلبت منه نسيبة أن يكونوا رفقاءه في الجنة فأجابها: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» ففرحت وارتاحت لذلك وأخذت تبعث في نفوس أبنائها التضحية والإقدام وتحبب لهم الاستشهاد في سبيل الله، كما أنها شهدت مع المسلمين بيعة الرضوان، وعندما قتل مسيلمة الكذاب ابنها نذرت أن تشهد مقتل مسيلمة وتشارك فيه فخرجت مع جيش المسلمين وقد بلغت الستين وشاركت في المعركة وعادت بذراع واحدة غير أنها وفت بنذرها وثأرت لابنها، ومرت الأيام وعادت النفس المطمئنة إلى ربها وبقى ابنها عبد الله يجاهد في جميع المواقع حتى استشهد فقد

---

(1) الطبقات ج2: 64، شهداء الإسلام في عهد النبوة د. علي النشار ص40، كتاب المحبر 428، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج2: 98، نساء حول الرسول ص 270، سير أعلام النبلاء ج2: 278، رجال ونساء حول الرسول- ﷺ - سعد بن عزيز ص447، التهذيب ج12: 474، الطبقات ج8: 112، النساء العظيمات في سطور ص45، نساء الصحابة ص346، فقه النساء محمد الخشت ص362.

قال فيها ابنها «يكفيني فخراً أنها أمي»، وبهذا تكون نسيبة كتبت بجهادها وبسالتها أروع صفحات المجد للمرأة المسلمة دون أن تكون مكلفة بذلك، ولكنه الإيمان الصادق ومحبة الرسول - ﷺ -، فكانت أسوة للمرأة المؤمنة الشجاعة المربية لأبنائها التربية الإسلامية الصحيحة وبذلك كانت موضع تقدير وإعزاز لبطولتها وشجاعتها ومواقفها الرائعة في الإسلام.

وصفية عمة الرسول - ﷺ -[1] التي أشرت إليها قبل حين وموقفها الرائع يوم الخندق عندما حاول يهودي خبيث التهجم على معسكر النساء حيث كانت نسوة المسلمين وصبيانهن في حصن ثبت عليه حسان بن ثابت فلما مر اليهودي جعل يطوف بالحصن، والمسلمون في نحور عدوهم، فقالت صفية لحسان: إن هذا اليهودي لا آمنه أن يدل على عورتنا اليهود فقم فاقتله، فهاب حسان ذلك، فنهضت صفية وأخذت عموداً غليظاً ونزلت من الحصن وتحينت فرصة غفلة اليهودي وضربته على أم رأسه ضربات متلاحقة حتى قتلته، ثم أخذت رأسه فرمت به على اليهود وهم أسفل الحصن فعندما رأى اليهود جثة اليهودي ظنوا أن في المكان رجالاً تركوا لحراسة النساء فقالوا: قد علمنا أن هذا (يعنون رسول الله - ﷺ -) لم يكن ليترك أهله خلواً ليس معهم أحد من الرجال فتفرقوا خائفين واليهود من صفاتهم الجبن والخوف، وفي الحقيقة إنّ عمة الرسول - ﷺ - هي التي قتلت ذلك اليهودي الذي كان يحوم حول مكان النساء فأي شجاعة هذه وهل في نساء عصرنا من تستطيع أن تقوم بالدفاع حتى عن نفسها.

---

(1) الإصابة ج4: 379، طبقات ابن سعد ج8: 41، ابن هشام ج2: 143، الرسالة المحمدية - الثعالبي - ص 324 نساء حول الرسول والرد على مفتريات المستشرقين - د. محمود الإستابولي - مصطفى شلبي - ص 195.

وهذه ليلى الغفارية[1] فعندما خرج - ﷺ - مهاجراً مر على بني غفار فخرجوا للقائه فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فأسلم كثير منهم وكانت من بين من أسلم ليلى وهاجرت إلى المدينة ولما سمعته يتحدث عن فضل الجهاد خرجت في المغازي تداوي الجرحى وتقوم على المرضى.

والربيع بنت معوذ[2] الأنصارية النجارية، كان اليهود يقولون: إنَّ نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه ونقاتل معه أهل المدينة، وعندما عرض الرسول - ﷺ - على حجاج يثرب الإسلام آمنوا به وقالوا: إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه، وآمن معوذ بن عفراء وقد كان مع سبعين من الأنصار شهد العقبة مع أخيه عوف بن الحارث، وابنته الربيع فكانت من المبايعات بيعة الرضوان وكانت تخرج في الجهاد تداوي الجرحى وترد القتلى إلى المدينة وكان أبوها من كبار البدريين قتل أبا جهل رأس الكفر في موقعة بدر.

وأميمة بنت قيس[3] الغفارية أسلمت وبايعت وشهدت خيبر مع نسوة من غفار تداوي الجرحى وتواري القتلى وتعين المسلمين وهي توجه النساء إلى ما يلزم لذلك حتى انتهت الحرب فنالت رضا ربها ومدح قومها.

ولا ننسى **رفيدة الأسلمية**[4] صاحبة الخيمة المشهورة باسمها أوّلَ مستوصف طبي وقيل اسمها كعيبة بنت سعد الليثية الأسلمية كانت تداوي

---

(1) أعلام النساء ج4: 336، الثقات ج3: 361، نساء الصحابة 262.

(2) أعلام النساء ج1: 442، الإصابة ج4: 301، سير أعلام النبلاء ج3: 198، تقريب التهذيب ج2: 598، نساء حول الرسول ص254، المحبر 430، نساء الصحابة 331، الطبقات ج3 ص492.

(3) أعيان النساء 45، الدرر المنثور 67.

(4) خلاصة التذهيب ج3: 381، التهذيب ج12: 418، تقريب التهذيب ج2: 598، الثقات ج3: 358، الطبقات ج8: 291.

الجرحى وتحتبس بنفسها على خدمة المسلمين، وعندما أصيب سعد بن معاذ قال - ﷺ - اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب.

وأم حرام بنت ملحان[1] الأنصارية شهيدة البحر أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك وزوجة الصحابي عبادة بن الصامت لها صحبة وروت عن الرسول - ﷺ - وحدث عنها زوجها وابن أختها أنس قالت: سمعت الرسول - ﷺ - يقول: «أول جيش من أمتي يغزو البحر، قلت يا رسول الله أنا منهم قال - ﷺ -: أنت فيهم» فكانت تتمنى أن تكون مع المجاهدين الذين يركبون البحر لنشر الدعوة فاستجاب لها الله فماتت شهيدة في تلك المعركة.

وأم سليط الأنصارية[2] الكادحة شهدت معه - ﷺ - أُحُداً فلم تخف دون الله أَحَداً وكانت تأتي بقرب الماء للمجاهدين.

ومعاذة الغفارية[3] من فواضل النساء تخرج في الغزوات ومواقع جهاد المسلمين وتقوم على المرضى وتداوي الجرحى وتسقي العطشى.

وحمنة بنت جحش الأسدية[4] شهدت أحداً فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم.

وأم ورقة بنت نوفل الأنصارية[5] الشهيدة كانت غيورة على الدين حريصة على الموت في سبيل الله وكانت قارئة للقرآن محافظة على شعائر الدين.

---

(1) تاريخ دمشق تراجم النساء 487، نساء الصحابة 365، نساء حول الرسول - ﷺ - ص212.

(2) حلية الأولياء ج2: 64.

(3) أعلام النساء ج5: 61.

(4) الإصابة ج4: 275، أعلام النساء ج1: 251، أسد الغابة ج7: 69.

(5) نساء حول الرسول - ﷺ - ص216.

ومن النساء اللاتي كان لهن مواقف في مختلف الميادين أم سليم[1] وهي سهيلة وقيل رميلة وقيل الرميضاء بنت ملحان الأنصارية الخزرجية أم أنس بن مالك، بعد موت زوجها مالك خطبها أبو طلحة الأنصاري وهو ما يزال مشركاً فقالت يا أبا طلحة ما مثلك يرد ولكنك كافر وأنا امرأة مسلمة فإن تسلم فذلك مهري ولا أسألك غيره، فقال لها أنظر في أمري ثم أسلم فرضيت الزواج به وكان صداقها إسلامه، وأصبح زوجها أبو طلحة من المقربين إلى الرسول - ﷺ - وكان سباقاً للخيرات يبتغي بذلك الأجر من الله، والفضل لأم سليم التي شجعته على فعل الخير كما أنها كانت السبب في اعتناقه الإسلام فحسن إسلامه بعد ذلك.

ولم يكف أم سليم أن تؤدي دورها في نشر الدعوة بالبيان بل حرصت على أن تشارك الأبطال جهادهم فقد كانت يوم أحد تنقل القرب وتفرغها في أفواه القوم، وفي يوم حنين كان لها موقف بطولي في تذكية نار الحماسة في صدور المجاهدين ومداواة الجرحى، بل كانت مستعدة للدفاع ومواجهة الأعداء فقد خرجت ومعها خنجر مستعدة لدخول المعركة عند الحاجة، ولها مواقف كثيرة سوف تذكر في حينها.

وبالإضافة إلى اشتراك المرأة في الجهاد، كان للمرأة في المجتمع المدني دورها السياسي في الإجارة والحماية السياسية لمن يستجير بهن ومن ذلك عندما لجأ رجل كافر إلى منزل أم هانئ[2] يوم فتح مكة مستجيراً بها فدخل عليها أخوها علي بن أبي طالب فخبرته الخبر فأخذ السيف ليقتله فقالت له: لقد

(1) الطبقات ج8: 424، التهذيب ج4: 471، رجال ونساء حول الرسول - ﷺ - ص456، نساء الصحابة ص358 تهذيب الأسماء واللغات ـ النووي ـ ج2: 263.

(2) الإصابة ج3: 503، الطبقات ج8: 47، أعلام النساء ج4: 14 نساء من عصر النبوة ـ أحمد خليل جمعة ـ ص 395.

أجرته فلم يلتفت إلى قولها وفي هذه الأثناء دخل الرسول - ﷺ - فقالت له: يا رسول الله ألا ترى أني أجرت فلاناً - وسمت الرجل - فأراد علي أن يقتله فقال - ﷺ -: «قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ»[1]، وهناك مواقف مماثلة تدل أيضاً على احترام كلمة المرأة في عهده - ﷺ -.

وهذه أم حكيم بنت الحارث[2] أخي أبي جهل كانت تتمتع بعقل ثاقب أسلمت في فتح مكة وأسلم أبوها وتمنت أن يذوق زوجها حلاوة الإيمان فذهبت للنبي - ﷺ - تطلب الأمان لزوجها وغمرتها السعادة عندما صفح عنه وأمَّنَهُ على نفسه فاستأذنت الرسول - ﷺ - في طلبه فأذن لها فرجعت به من اليمن واستطاعت أن تزرع بذور الإيمان في قلبه، وأصبح بعد ذلك من المجاهدين حتى مات شهيداً.

وهذا العدد من النساء على سبيل الذكر لا الحصر، وفي النهاية نقول: إنَّ اشتراك المرأة في الحرب سواء حاربت أم رافقت المجاهدين لمداواة الجرحى وسقي العطشى، كل ذلك في إطار الخدمات العامة التي تقدم للجند وإن اضطررن في بعض المواقع إلى القتال دفاعاً عن النفس وذلك يدل على شجاعة المرأة وتشوقها إلى انتصار قومها واعتزازها بسيادتهم ويدل أيضاً على سمو مكانتها في الإسلام لأنها جديرة بأن تشارك الرجال في الذَّودِ عن الحمى وفي كسب النصر فكانت المرأة في عهده - ﷺ - قدوة لغيرها من النساء في العصور التالية في هذا الجانب والجوانب الأخرى، فكانت شجاعة باسلة في دفاعها عن الإسلام والعروبة حتى قال فيها بعض المستشرقين: إن هؤلاء النساء اللاتي تعودن الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالنبل هن اللاتي إذا وقعت

---

(1) صحيح البخاري شرح الكرماني ج4: 16.

(2) تاريخ دمشق تراجم النساء ص502، نساء الصحابة 284، الطبقات ج8 ص216.

إحداهن في الأسر، تكون قادرة على صيانة عفتها وحفظ كرامتها ودينها ومواجهة أي إنسان تحدثه نفسه أن يمسها بسوء.

وبعد الحديث عن المرأة في حالة الجهاد ومواقفها الرائعة نريد أن نتكلم عن الحقوق التي أعطاها الله للمرأة ومنحها الرسول - ﷺ - لها، بل أمر الجميع بالأخذ بها وتحقيقها وتطبيقها، وبداية هذه الحقوق **حق الحياة** قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[1] وهو استنكار عما كان يفعله بعض الناس في الجاهلية من دفن البنت حية مخافة العار والحاجة وخشية الاسترقاق، فوجه الله السؤال إليها وفي ذلك توبيخ وتغليظ شديد لقاتلها كأنه لا يستحق أن يخاطب مباشرة.

ثم إن الرسول - ﷺ - وجه اهتمام الناس بالبنات ورعايتهن حيث قال: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو أختين أو بنتين فأدبهن وأحسن إليهن فله الجنة»[2]. وقد علم الرسول - ﷺ - الرجال كيفية التعامل مع بناتهم والاعتناء بهن من خلال مواقفه الرائعة في حسن معاملته لبناته والاهتمام بهن.

ومن حق المرأة اختيار طريق الإيمان بحرية تامة فعندما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3]، قال - ﷺ - «.... يا صفية (عمة الرسول - ﷺ -) لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا....»[4] وهذا دليل واضح على استقلالية شخصية المرأة في الإسلام بحيث

---

(1) سورة التكوير آية 8.

(2) الترمذي ج8: 104.

(3) سورة الشعراء آية 214.

(4) سيرة ابن هشام ج1: 237.

لا يضر المرأة كفر قومها إن كانت مؤمنة بالله ولا ينفعها إيمان قومها إن كانت كافرة، ولهذا لاحظنا في العهد المكي أنَّ هناك الكثير من النساء اللاتي أسلمن وبايعن وهاجرن فراراً من أهل الكفر وخوفاً على دينهن، كما أنَّ المرأة كانت تفارق أهلها وتهاجر في سبيل دينها وفي سبيل الدعوة إلى الإسلام وأيضاً من حق المرأة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ... ﴾[1]، وجاء النص النبوي يعزز مسؤولية المرأة إلى جانب الرجل في قوله - ﷺ - «.... والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»[2].

وفي أمر الزواج للمرأة الحرية الكاملة في اختيار شريك الدرب والحياة، ففي القرآن آيات كثيرة تتحدث عن الزواج وأهميته في حياة الأسرة والمجتمع.

فالإسلام يحظر أن تتزوج البالغة العاقلة دون رضاها لقوله - ﷺ -: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها قال: أن تسكت»[3] فالإسلام أعطى المرأة حق استشارتها في زواجها فالزواج مستقبلها ويجب أن يبنى على أسس ثابتة ودعائم قوية ولن تكون هذه الأسس والدعائم متماسكة قادرة على تحمل ما قد يهب من أعاصير وما قد يثار من مشكلات إذا تم الزواج على كره من المرأة أو على غير بغيتها، فالزواج دون رضا الفتاة أفظع من الوأد الذي كان في الجاهلية فالوأد نهايته مريحة أما الزواج دون الرضا فهو العذاب والتعب المتجدد كل يوم، وقد طبق الرسول - ﷺ - هذا الأمر في أسرته فعندما جاءه علي بن أبي طالب

---

(1) سورة التوبة آية 71.

(2) صحيح مسلم ج12: 213.

(3) مسلم بشرح النووي ج9: 202.

خاطباً فاطمة الزهراء[1] قال له: «انتظر حتى أسألها رأيها ودخل على فاطمة، وأخبرها بأن عليّاً جاء يطلب يدها»، وقد يحتاج الأب أن يخبر ابنته عمن جاء يخطبها، ويذكر لها أوصافه من حيث العمر والمهنة وبقية الأوصاف إذا عرفها ولم يكن معروفاً لها لتكون البنت على علم وبصيرة[2]، ولكن هنا لا حاجة لذلك فعلي أعرف من أن يعرف، وهي تعرف عنه كل شيء فهو ابن عم أبيها وعاش في بيت النبوة فاكتفى - ﷺ - أن قال: «إن عليّاً جاء يخطبك، فسكتت فقال- ﷺ - سكوتها إقرارها» إذ لا ينتظر من الفتاة البكر أن تصرح بموافقتها، فخرج إلى علي وأخبره بالموافقة، وسأله عن مدى استعداده لاتخاذ التدابير اللازمة لهذا الزواج إذ لابد من الصداق شرعاً وعرفاً، وليكون هذا الزواج مثالياً نموذجياً، ويكون له صدى ودوي على مر الأجيال، فلابد من رعاية جميع جوانبه مع رعاية البساطة، وتم الوفاق على أن يكون ثمن الدرع (درع علي) صداقاً لأشرف فتاة وهي سيدة نساء العالمين وبنت سيد الأنبياء والمرسلين - ﷺ -. زوج الرسول - ﷺ - ابنته فاطمة الطاهرة من علي بهذه البساطة والسهولة ليفكك أغلال التقاليد التي قيد الناس بها أنفسهم لقد صنع ما صنع ليقتدى به الناس في زواج بناتهم وسيرته - ﷺ - كلها قدوة لنا في جميع الأزمنة والأمكنة.

وحرم الإسلام الجمع بين الأختين والخالة والعمة حتى لا تكون داخل الأسر العداوة والبغضاء والمشاحنة بالإضافة إلى حرمة ذلك شرعا قال تعالى: ﴿...وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

(1) كتاب معجز محمد رسول الله ـ عبد العزيز ـ ج2: 244.

(2) فاطمة الزهراء ـ السيد محمد كاظم القزويني ـ ص170.

رَّحِيمًا ﴾[1] وقال الرسول - ﷺ -: «لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمة على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها»[2].

وقد حدثت مواقف في موضوع الزواج أعطى الرسول - ﷺ - المرأة فيها حق اختيار شريك الحياة ومن ذلك ما حدث **للخنساء بنت خدام الأنصارية**[3] التي استشهد زوجها في أحد فأراد والدها أن يزوجها رجلاً لا تريده، فذهبت للرسول - ﷺ - وقالت: إن أبي أنكحني ولم يشعرني، وإن عم ولدي أحب لي، فقال - ﷺ -: «لا نكاح له، انكحي من شئت»، لأنها تريد أن يربى ولدها في بيت عمه وهو خير له من بيت غريب ولهذا استجاب لطلبها، وامرأة أخرى[4] جاءت له - ﷺ - فقالت: أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، وما لي رغبة فيما صنع أبي، فقال لها - ﷺ -: «اذهبي فلا نكاح له» فقالت عند ذلك أجزت ما صنع أبي ولكني أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من أمور بناتهم شيء، ومع ذلك أعطى الإسلام للأولياء الحق في المشورة والرأي في زواج بناتهم ولكن بالحوار والمناقشة المتزنة والإقناع، لأن القرار في الزواج يحتاج إلى التروي ورضا الطرفين ومن الأسرتين حتى يكون الاحترام المتبادل بين الأسرتين والمودة والرحمة بين الزوجين ولهذا لابد من الاحتفاظ بالتوازن والاعتدال بين العقل والقلب، وبين الحرية والمسؤولية ولقد أولى الإسلام مسألة الاختيار أهمية كبيرة تتضح بجلاء فيما نقل عن سيد الخلق - ﷺ - أنه قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلاَّ تفعلوا تكن فتنة في

---

(1) سورة النساء آية 23.

(2) مختصر سنن أبي داود الحافظ المنذري ج3: 9

(3) تقريب التهذيب ج2: 596، نساء الصحابة 316، استقلال المرأة في الإسلام ـ الغزالي حرب ـ ص 34.

(4) الإصابة ج4: 286، تهذيب الأسماء واللغات ج1: 342، البخاري ج7: 23.

الأرض وفساد عريض»[1]، فصاحب الدين والخلق لا يرغمها على فسوق أو فساد أو فتنة تبعدها عن الدين ومكارم الأخلاق، وقد نهج الصحابة نهجاً يعد ثورة في مفاهيم اختيار الزوج المناسب بحيث كان يجوز للرجل أن يعرض ابنته على أهل الفضل وفي عرض الصحابي عمر بن الخطاب ابنته حفصة دليلٌ على ذلك إذ لم يمنعه حياؤه من عرض ابنتِهِ حفصة وتزويجها من يرضى دينهم من أصحابه[2]، وهو نفس النهج الذي سار عليه نبي الله شعيب عليه السلام من قبل حين عرض ابنتيه على نبي الله موسى عليه السلام، كما أن الرسول - ﷺ- حرص على توضيح النقاط الأساسية التي تخطب المرأة لأجلها مبيناً أهمية الارتباط بالمرأة ذات الدين إذ روي عنه - ﷺ- أنه قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفرْ بذات الدين تربت يداك»[3]، حيث جعل عليه الصلاة والسلام الأفضلية لذات الدين والأخلاق لأن المرأة ذات الخلق تكون جميلة المعشر حسنة التصرف بما ينعكس ذلك على استقرار الوضع داخل الأسرة وبالتالي داخل المجتمع كله، ولقد ركز - ﷺ - على مسألة تأثير التربية السيئة في أخلاقيات المرأة في قوله - ﷺ -: «إياكم وخضراء الدمن»، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

فإذاً أساس الزواج الخلق والدين ورضاء الطرفين وبذلك يتحقق الغرض الأسمى للزواج المتمثل في السكن النفسي والاطمئنان القلبي والمودة والرحمة فيؤدي كلٌّ منهما واجبه نحو الآخر فالزوج يعمل ويكدح والزوجة تلاطف وتحسن تربية الأولاد وتراعي شؤون بيتها قال - ﷺ -: «المرأة راعية

---

(1) الترمذي ج3: 395.

(2) صحيح البخاري ج7: 17.

(3) ابن ماجة ج1: 572، البخاري ج7: 91، الترمذي ج3: 396.

في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»[1] وقال - ﷺ - أيضاً «أيما امرأة أدخلت على قوم رجلاً ليس منهم فليست من الله في شيء ولا يدخلها جنته...». وقال - ﷺ - أيضاً «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجةٍ صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها ومالها» وقال أيضاً «إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»[2]، والدور الرئيسي للزوجة هو أن يسكن إليها زوجها ويستأنس بها ويجد لديها الهدوء والسكينة اللَّذَيْنِ ينشدهما كل زوج في بيت الزوجية، ولا يتحقق هذا الهدف السامي إلا إذا راعى كلٌ منهما الحدود التي رسمها الله للمعاملة الزوجية، وقد أفاض في شرحها المعلم الأعظم - ﷺ - بالأحاديث النبوية ذات المغزى العميق التي يجب أن يلم بها كل مسلم ومسلمة إذا أراد لنفسه السعادة في الدنيا ورضاء الله في الآخرة، فقد قال - ﷺ - «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله وخيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[3].

ولكي تستقيم الحياة داخل الأسرة المسلمة يجب توفير الثقة وحسن الظن بين الزوجين فضلاً عن حسن المعاشرة المبنية على الاحترام والتقدير المتبادل فعلى الزوجة أن تكون مقدرة لجهود زوجها في الوقت الذي تدفعه فيه إلى مواصلة الكفاح راضية وتساعده بمالها إذا كانت موسِرَةً حتى يفرج الله كربه فهذه زوجة ابن مسعود التي جاءت للرسول - ﷺ - تسأله هل تعطي صدقة أموالها لزوجها وأبنائها لأنه خفيف ذات اليد فقال لها - ﷺ - «نعم

---

(1) سنن النسائي ج6 ص180، ابن ماجة ج1 ص596.

(2) النسائي ج5: 93.

(3) أبو داود والترمذي والداريمي.

وَلَكِ أجران أجر الصدقة وأجر القرابة» كما أن المرأة بعد زواجها تظل محتفظة باسمها واسم أسرتها وبكامل حقوقها المدنية ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً من مالها إلا برضاها وإذنها ومن حق الزوجة على زوجها المعاملة الحسنة والنفقة حتى ولو كانت غنية، ومن خلال ما سبق عرفنا كيف كانت المرأة تطالب بحقوقها وأهم تلك الحقوق شريك الحياة والدرب، إنها كانت لا توافق على الزواج إلا بمن ترتاح للحياة معه صاحب الخلق والدين، فالزواج دون رضاء أقسى من الوأد بالنسبة للمرأة، ولكن صدى الفكر المادي بجميع أشكاله والذي أصبح يسيطر على الحياة المعاصرة للأسر المسلمة ترتب عليه اختلاف الرؤية والمنهج في اختيار الزوج والزوجة فالمرأة أصبحت تفضل الارتباط بالزوج الموسر الذي يملك المنزل الفاخر والمركوب المريح والمركز الاجتماعي المرموق وأصبحت هذه المطالب الغاية في اختيار الزوج، أما الرجل فقد اقتصر تفكيره في المرأة الجميلة أو الغنية أو ذات الحسب متناسياً ذات الدين والأخلاق وهو بذلك يساهم في بناء أسرة مضطربة هشة قد تفسر معاناتها عن زوال بنائها وتشرد أطفالها.

وأيضاً للأسف الشديد نجد المرأة في عصرنا تلهث وراء الغربيات وتسعى إلى تطبيق انحلالهن وتنبهر بتصرفاتهن في مصادقة الرجال والخلوة والاختلاء بالأجانب، ولكنها لا تناقِشُ ولا تحاور أهلها في من يرشحونه لها زوجاً وتواصل معهم المهزلة التي تكون نهايتها غالباً الطلاق وتشريد الأطفال وتقول عند ذلك كنت من البداية غير مقتنعة به وقد تكون متعلمة ولكنها جاهلة لأمور دينها وخاصة فيما يخصها ويتعلق بحياتها وبهذا نرى أنه عندما تركنا تطبيق الشريعة وصلنا إلى ما وصلنا إليه من الجهل والتخلف وعندما طبقت الشريعة بطريقة صحيحة في عهد الرسول - ﷺ - على الرجال والنساء

كانت المرأة تعرف حقوقها وتقوم بواجباتها داخل البيت وخارجه أحسن قيام فأفادت واستفادت وأنتجت الأبطال. أما بالنسبة لموضوع القوامة فقد أثبت الواقع والتجارب البشرية أن الرياسة ضرورية لكل مجتمع صغير أو كبير فالرئاسة ضرورة اجتماعية لابد منها فكل مؤسسة اجتماعية تحتاج إلى رئيس مسؤول عن إدارتها والأسرة أهم المؤسسات الاجتماعية والرجل في مؤسسة الأسرة أحق بإدارتها وأقدر على تحمل مسؤولياتها فالرجل بحكم تكوينه العضلي والعصبي والعقلي أقوى على حمل أمانة الأسرة بكل أثقالها من المرأة فهو الذي دفع الصداق للمرأة والملزم بالإنفاق على الأسرة، وهو أقدر منها على الكدّ والعمل باستمرار في سبيل تحصيل الرزق ولو كانت مثله في الذكاء والعقل أو تفوقه، إلا أنها تنصرف عن حياة العمل والإنتاج قصراً في فترة الحمل وما تعانيه فيها من آلام الوحم لا تنتهي إلا بآلام الولادة والنفاس لتبتدي بمتاعب الرضاعة والحضانة وتربية الأبناء وتوفير أسباب الاستقرار والسعادة لسائر أفراد الأسرة بالإضافة إلى ما تقتضيه في كل شهر من أيام وهي مضطربة المزاج بسبب عوارض العادة، وفي هذا الإطار يجب أن نفهم الدرجة والقوة والتفضيل التي جعلها للرجل على المرأة ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[1]، فالقوامة بالنسبة للرجل تكليف لا تشريف ولهذا لم يكلف المرأة بشيء حتى بالإنفاق على نفسها، فالمرأة معفاةٌ من التكاليف المالية قبل الزواج وبعده وبذلك فهي أوفر حظاً في الميراث من الرجل حيث كلف الشرع

(1) سورة النساء الآية 34.

القوامين عن المرأة أن يقوموا بجميع حاجاتها ثم قرر لها حظاً في الميراث مراعاة لها والعناية بشأنها. وفي الصدر الأول للإسلام والقرآن ينزل ويتلى لم نسمع أو نقرأ أن المرأة اعترضت على شيء من الحقوق والواجبات بالنسبة للجنسين فلم يكن يشغل بالها مساواة زائفة أو تحرر مزعوم ولا ترى غضاضة أو مساساً بحريتها أو كرامتها أن يكون الرجل قواماً عليها ما دامت دخلت في هذا الزواج حرة مختارة وكانت لها الكلمة الأخيرة في ارتضاء الرجل الذي خولته رئاسة الشركة الزوجية والرجل بصفة عامة أقدرُ من المرأة على حماية مصالح الأسرة وتدبير معاشها ولا عبرة بالأحوال الشاذة والاستثناءات عن القاعدة العامة.

وفي رفض بعض النساء القوامة دليلٌ على نقص في التمييز وعلى قلة في الفهم والإنصاف وفيه اعتداء على المرأة ذاتها وتفكك شخصيتها وتشرد النشْءِ وتهديد للمجتمع بالفناء، فالمرأة في تكوينها وفطرتها الطبيعية تطلب الرجل القوام وترتاح إلى قوته وحمايته وتشعر بالحرمان والنقص والقلق عندما تعيش مع رجل لا يزاول مهام القوامة وتنقصه صفاتها اللازمة كما أن الأطفال الذين ينشؤون في مؤسسة عائلية القوامة فيها ليست للأب إمَّا لأنه ضعيف الشخصية بحيث تبرز عليه شخصية الأم وإمَّا لأنه مفقود لوفاته أو لعدم معرفته هؤلاء الأطفال قلما ينشؤون أسوياء وقلما ألا ينحرفوا في تكوينهم العصبي والنفسيّ وفي سلوكهم العملي والخلقي ومع ذلك فإن القوامة لا تعني تسلط الرجل وظلم المرأة وعدم إعطائها حق مشاركته في الرأي وإنما تعني تنظيم ورئاسة عامة للأسرة فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن والأسرة بحاجة للجسد كله[1]. والخلاصة أن النساء كن ولازلن ولسوف

(1) القرآن يتحدث عن المرأة ـ عبد الله البربري ـ ص53.

يظللن يشعرن في قرارة أنفسهن على الأقل في صلاحية الرجل لهذه القوامة مهما بلغْنَ من درجات العلم والعقل والمال والقوة حيث يبدو في ذلك إعجاز التقرير القرآني هذا مع التنبيه على أنه ليس في أسلوب الآية فضلاً عن فحواها ما يمكن أن يفسر أن هذه القوامة أو الدرجة التي جعلت للرجل على المرأة يصح أن تكون استعلاء وتحكماً وقهراً[1].

وإذا حدث في الأسرة اضطراب وعدم تفاهم بين الزوجين ولم تكن وسائل الإصلاح بينهما قد وصلت إلى نتيجة وأدى الموقف إلى الطلاق فقد تتوتر العلاقة بين الزوجين داخل مؤسسة الأسرة لما قد يتصف به أحد الزوجين أو كلاهما من سوء في خلقه أو فساد في التربية أو ضعف في دينه وغير ذلك مما يعكر صفو الأسرة، وقد بين لنا القرآن وسائل الإصلاح كما في سورة النساء الآية 35 حتى لا يكون الطلاق وإلحاق الضرر بالأولاد فإذا أصبحوا لا يطيقون صبراً فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها أباح لهم أن يتفرقا حتى لا تتحول مؤسسة الأسرة سجناً مؤبداً، وجعل الطلاق بيد الزوج لأنه لا ينقاد لعاطفته فيوقع الطلاق لأوهن الأسباب ولأنه أنفق في سبيل الزواج ما يلزمه من النفقات وعليهِ صداق جديد لامرأة جديدة، كما أعطى للمرأة حق الخلع.

وقد وضع الإسلام للطلاق أحكاماً تحمي المرأة وتضمن لها كافة حقوقها وفي القرآن آيات كثيرة تتحدث في هذا الموضوع كما انه حدثت مواقف في عهد الرسول - ﷺ - تصرف فيها بتطبيق القرآن في تلك المواقف فمثلاً من تلك المواقف أن الرجل كان في الجاهلية يطلق زوجته ثم يراجعها[2] قبل أن تنقضي عدتها ولو طلقها ألف مرة كانت القدرة على المراجعة ثابتة له،

---

(1) تفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول ـ محمد دروزة ـ ج6: 416.

(2) فخر الرازي مج3: 96، تفسير الحديث ـ محمد دروزة ـ ج6: 418.

وبعد الإسلام قال رجل لامرأته لا آويك ولا أدعك تحلين فقالت له كيف تصنع قال أطلقك فإذا دنا مضي عدتك رجعتك فمتى تحلين أطلقك وهكذا فجاءت للرسول - ﷺ - وشكت إليه زوجها وهو يريد أن يفعل بها ذلك ليضرها فنزل قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾[1].

كما أن هناك امرأة طلقها زوجها في فترة حيضها فأمر الرسول - ﷺ - الزوج بمراجعة زوجته حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم يطلقها طاهراً إذا أراد طلاقها[2] قبل أن يمسها فذلك الطلاق الذي أمر الله به وطبقه - ﷺ -، ونحن الآن بعد كل تلك السنين توصل علماء النفس إلى أن للحيض آثارَهُ الجسدية والنفسية على المرأة وهذه الآثار تتفاوت من امرأة إلى أخرى، وكذلك تتفاوت باختلاف مراحل حياة المرأة فقد تكون الآلام خفيفة لا تكاد المرأة أن تحس بها، وقد تصل إلى درجة خطيرة مرضية فقد تشعر المرأة بالتعب والضيق والصداع ويضطرب الهضم وغيرها من الأعراض، كما أن للحيض آثاراً واسعة النطاق على الجهاز التناسلي للمرأة وهذه الأعراض تسلب قدرة المرأة وحيويتها حيث تشعر أثناء الحيض بالهبوط والضيق والملل وقد تكون أسرع انفعالاً وتأثراً والانتقال السريع من رأي إلى رأي والغضب لأتفه الأسباب، وردود الأفعال التي لا ترضى عنها حين تتجاوز تلك الفترة ولهذا أمر الشرع أن لا يكون الطلاق في تلك الفترة محافظة على كيان الأسرة من الانهيار لأسباب تافهة قد تؤدي إلى تشرد الأطفال، وقد أجمع المسلمون على أن الزوج يملك مراجعة زوجته في الطلاق الرجعي مادامت في العدة كما جاء في القرآن،

---

(1) سورة البقرة آية 229.

(2) سنن الدارقطني ج4:ص6، مسلم ج2 كتاب الطلاق.

أما الارتجاع في الطلاق البائن فلا يكون إلا بعد أن تتزوج زوجته من رجل آخر فإذا طلقت من الثاني وأراد الأول أن يتزوجها مرة أخرى له ذلك[1] كما في سورة البقرة آية 230.

كما راعى الإسلام حقوق الطفولة فجعل الحضانة للأم عند الفراق وأنْ ينفق الزوج عليها مدة حضانتها لطفلها ولا ننسى أنَّ الشريعة جعلت للمرأة التي تكره زوجها لأسباب نفسية من غير أن يكون قد صدر منه شخصياً ما من شأنه أن يلحق ضرراً بها حق الخلع من زوجها إذا كرهت الحياة معه ونفرت من معاشرته والاستمرار معه فقال تعالى: ﴿... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]، وسوف نذكر قصة وقعت أيام الرسول - ﷺ - في مبحث نساء نزل فيهن القرآن.

وأما بالنسبة لتعدد الزوجات فهو تشريع قديم عرفته كل الحضارات والأمم السابقة للإسلام وطبقته دون حدود ولا قيود وعندما جاء الإسلام جعل له حدوداً وقيوداً وشروطاً، فالزوجة الواحدة هي الأصل، فالطبيعي أن يكون للرجل امرأة تكون بينهما المودة والرحمة كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، فهذا الأدب الرفيع يجعل الإنسان لا يسارع إلى هدم بيته وإشقاءِ أسرته لنزوة خطرت يكون من نتائجها الجور والظلم يبعثه الرجل المزواج ثم يرثه بنيه ويرسله معاولَ في بناء مجتمعه، ولكن قد تحدث

(1) البداية والنهاية ج7 ص68، سنن ابن ماجة ج1 ص622.

(2) سورة البقرة آية 229.

(3) سورة الروم الآية 21.

أحداث توجب الاستثناء من هذا الأصل، فقد تنتاب الأسرة عوامل متعددة تدفع الرجل إلى الزواج بأكثر من واحدة ومن هذه الأسباب عدم إنجاب الزوجة الأولى وهو عنده رغبة أن يكون أباً أو مرض الزوجة مرضاً لا تستطيع معه القيام بواجباتها كزوجة وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى تعدد الزوجات، فمشاركة غيرها في زوجها بطريق علني مشروع أفضل من الطلاق الذي يضر المرأة والمجتمع فتعدد الزوجات أفضل بكثير من تعدد الخليلات ولكن المهم في هذا الموضوع العدل وحسن المعاملة والمعاشرة بين الزوجات، فقد قالت السيدة عائشة: «كان لا يفضل بعضنا على بعض في القسم وفي مكثه عندنا....»[1] وقبل هذا وذلك فإن تعدد الزوجات في حياة الرجل لا يكون إلا برضاء المرأة فلو رفضت المرأة أن تتزوج الرجل الذي عنده زوجة ما استطاع الرجل أن يعدد ولهذا نرى أن التعدد ليس ضاراً بالمرأة بل في كثير من الأحيان يكون نافعاً وخاصة إذا استعملت الرخصة الإسلامية استعمالاً صحيحاً وكان عادلا بين زوجاته وطبق أوامر الله ورسوله في هذا الأمر، فالرخصة الإسلامية في التعدُّد والتي يستعملها المسلمون عند الضرورة القاهرة والحاجة الملحة بالقيود والشروط السابقة الذكر لا ينتج عنها أضرار بل هي التي تدفع الضرر عن الناس وترفع الحرج الذي يلحقهم وتحل الكثير من مشاكلهم ومن خلال تجارب الحياة والتحدث مع بعض النساء من مختلف المستويات في أمر تعدد الزوجات نجد الكثير منهن لا يمانعن التعدد ويقبلن الزواج برجل متزوج ولكن الخوف من عدم العدل والظلم وأن تكون الواحدة منهن كالمعلقة هذا هو الدافع الأساسي لمحاولة منع الزوج من الزواج عليها أو رفض الرجل المتزوج بل لقد سمعت من بعض النساء اللاتي لهن مشاغل في هذه الحياة

---

(1) سنن أبي داود ج2: 243.

وعليهن التزامات اجتماعية ومهام في الحياة العامة بأنهن يفضلن التعدد حتى يخلون بأنفسهن في بعض الأيام للقيام بما عليهن من أعمال خارج البيت فوجود الزوج الدائم وطلباته التي لا تنتهي تعيق المرأة عن القيام بواجباتها داخل البيت وخارجه وخاصة المرأة التي حرمت من الأمومة فهي تريد أن تعوض ذلك الحرمان بالانشغال في الحياة العامة وبهذا نرى أن المهم بالنسبة للمرأة العدل ولا ينسى الزوج زوجته الأولى عند زواجه بالثانية، فكم من ضرائر عشْنَ معيشة الوفاق وكانت كل واحدة تنادي الأخرى يا أختي.

ومن خلال تطبيق تعدد الزوجات في بداية ظهور نور الإسلام فلم نقرأ أو نسمع أن المرأة كانت متضايقة من هذا الموضوع أو شكت من الظلم أو الجور لأن العدل كان سائداً في داخل البيوت ولأن التعدد كان لأسباب مهمة اضطرت الرجل إلى تعدد زوجاته، وإذا رجعنا إلى الغرب فبالرغم من منع التعدد في القوانين الغربية فإننا نجد بعض الكتاب الأوربيين أدركوا الفوائد الجليلة في التعدد فكتبوا في ذلك يدعون أممهم إلى الأخذ بهذا التشريع لما فيه من حماية للمجتمع وما يعود به على الأمم من المنافع التي تنظم حالة الأفراد والجماعات فهذه كاتبة تقول: ما أروع الإسلام فإنه رأى الداء ووصف الدواء الكامل للشفاء وهو إباحتُهُ للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، وهذه كاتبة إنجليزية تتمنى لو يباح التعدد حتى يزول البلاء وتصبح البنات ربات بيوت وأمهات أولاد شرعيين[1]، وقالت أحدى الكاتبات: البلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهنّ إلى التماس أعمال الرجال، ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبحْ للرجل التزوج بأكثر من واحدة وهناك الكثير من الرجال المتزوجين ولهم

(1) محاضرات إسلامية، ص 203.

أولاد غير شرعيين أصبحوا عالة وعاراً على المجتمع الإنساني، فلو كان التعدد مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ما هم فيه من العذاب ومن الهوان، وفي ألمانيا قامت النساء بمظاهرات يطالبن بالأخذ بنظام تعدد الزوجات، وهناك[1] الكثير من الكاتبات في الغرب ينادين بالتعدد بل وصل ببعضهن الحال بالمناداة بالتناوب على الأزواج وقلن: ليس من حق المرأة الاحتفاظ بالزوج طيلة حياتها وغيرها تبقى دون زوج طيلة حياتها. أما بالنسبة لتعدد الأزواج بالنسبة للمرأة فقد حرمه الإسلام لما فيه من الإفضاء إلى اختلاط الأنساب التي عمل الإسلام على حمايتها بتحريمه للزنا وإباحته للزواج الذي بني عليه الكثير من الحقوق والواجبات أثناء الحياة الزوجية وبعد المهات، كما أن تعدد الأزواج يؤدي إلى تعرض المرأة إلى المتاعب النفسية والجسمية، والخلاصة أن تعدد الزوجات رخصة إسلامية تستعمل عند الضرورة وفي وقتها المناسب، وحيث إنّني تطرقت لهذا الموضوع ارتأيت أن أبين الأسباب السامية والرفيعة لتعدد زوجاته - ﷺ - وهو القدوة الحسنة في هذا الموضوع لجميع المسلمين. وفي البداية أريد التعرض للسر والحكمة في أن تكون له في بداية حياته عليه الصلاة والسلام وبعد مبعثه بسنوات قليلة زوجة واحدة هي خديجة بنت خويلد[2] سيدة نساء الجنة، وحيث إنّ الزوجة أقرب الناس إلى بعلها فهي جزء منه كما ذكر في القرآن ولهذا بدأ الرسول - ﷺ - تحمل مشاق الرسالة بالزوجة الأولى خديجة فكانت السنوات الأولى لزواجهما فترة

(1) تفسير المنار ج4 ص 361، تفسير دلال القرآن ج 4 ص 243.

(2) طبقات ابن سعد ج1: 132، سيرة ابن كثير ج1: 241، سيرة ابن إسحاق ص59، الاستيعاب ج4: 1818، المغازي النبوية للزهري ص42، الإصابة ج4: 282، دلائل النبوة للبيهقي ج1: 336، سيرة ابن هشام ج1: 156، البخاري ج4: 5، عيون الأثر ابن سيد الناس ج1: 83، دراسات في السيرة ـ د. حسين مؤنس ـ ص 34.

الاستعداد لتلقي الوحي وهذه الفترة تحتاج للهدوء والراحة في بيته والانقطاع للتعبد ولا يتوفر ذلك إلا في رحاب زوجة واسعة الأفق كبيرة القلب متتبعة للأمور التي كان عليها الرسل من قبل فكانت السيدة خديجة المساعد الأساسي له في تلك المرحلة حتى جاء أمر الله ونزل عليه جبريل بالقرآن فرجع الرسول - ﷺ - من الغار إلى خديجة وأخبرها بما رأى وسمع وما كادت تسمع حديثه العجيب عن الوحي الأول حتى هتفت بحرارة ويقين قائلة: «والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتقري الضيف ثم تكمل قائلة: أبشر والذي نفسي بيده إنَّني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة» وكانت خديجة أول من صدقه فقال فيها الرسول - ﷺ -: «آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء»[1] وكانت السيدة خديجة تصغي إلى الرسول - ﷺ - وهو يحدثها عن الله فتحس بقلبها يشرق بالأنوار وبذلك عرفت خديجة ربها بعد أن فتح الرسول - ﷺ - أعين بصيرتها على النور فأحبته وعبدته العبادة الصادقة المخلصة فكانت تشجع الرسول - ﷺ - وتقوي من عزيمته وتهون عليه أمر الناس واستمرت على ذلك حتى أسلمت الروح إلى بارئها وحزن عليها الرسول - ﷺ - كثيراً.

فهي نمط من النساء لا يتكرر وهي خير نساء العالمين فقد بشرها جبريل حينما جاءت إلى الرسول - ﷺ - تحمل طعاماً فقال سيدنا جبريل «هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب فإن هي أتتك فاقرأ عليها السلام من

(1) مسند الإمام أحمد ابن حنبل ج6: 118..، المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله - د علي عبد الحليم ص244.

ربها ومني»[1] فقالت السيدة خديجة: «الله هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام» وهذا رد على البديهة يدل على ما حباها الله به من ذكاء وفطنة وما وهبها سبحانه وتعالى من لباقة ألهمتها تعظيم الله بما هو أهله، كما أن الرسول - ﷺ - بشرها ببيت من قصب لا صخبٌ فيه ولا نصب في جنة الخلد. ومن خلال ما سبق ذكره تبينت لنا المكانة الرفيعة التي كانت تتمتع بها خديجة عند الرسول - ﷺ - وعند ربها سبحانه وتعالى كما أننا رأينا أن الدعوة في بداية أمرها كانت تحتاج للهدوء والانقطاع للعبادة ثم التكتم والسرية فكانت زوجة واحدة للرسول - ﷺ - في تلك المرحلة تكفي وعندما انتقل الرسول - ﷺ - إلى المدينة وانتشر الإسلام وازداد عدد متبعيه وأصبح الرسول - ﷺ - مأموراً بالبيان والتوضيح والإرشاد كما في قوله تعالى: ﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. فكان زواجه من عائشة وغيرها لحكمة وأسباب يزيدان من إيمان المسلم بعظمة الرسول - ﷺ - وكمال أخلاقه فلم يتزوج بواحدة إلا ولهذا الزواج مصلحة من مصالح الدعوة الإسلامية أو جلب منفعة أو إبعاد خطر اجتماعي كبير، فقد كان للأرحام والمصاهرة تأثير كبير في حياة العربي القبلية والاجتماعية وكان لها أثرها البعيد في تاريخ الدعوة وفي حقن الدماء، فقد جمعت المصاهرة أبي بكر وعمر وعثمان في رسالة واحدة هي رسالة الدين، وأيضاً كل سيدة تأوي إلى البيت الطاهر إما اعتصاماً من الارتداد والوقوع في أيدي الحاقدين عليها من ذويها أو لإكرامها عن منزلة دون منزلتها، والبرّ بالمرأة المؤمنة أن ينتهي بها إيمانها إلى الإهانة فكانت صلة

(1) البخاري ج 5 ص 48.

(2) سورة النمل. الآية 44.

الرحم والبعد بهن عن المهانة هي الباعث الأكبر في نفسه على التفكير في الزواج بهن وحفظهن. ولهذا كان لتعدد زوجاته - ﷺ - حكم وأسباب منها:

1 ـ أراد الله نقل بواطن الشريعة وظواهرها فجعل له نسوة ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله ويسمعنه من أقواله في حالة منامه وخلوته وفي عبادته داخل بيته عند ذلك تعددت زوجاته - ﷺ - كي ينقلن أقواله وأفعاله للناس[1]، والزوجة خير من يقوم بهذه المهمة فهي ملازمة لزوجها مطلعة على جميع أحواله، وبذلك نرى أن تعدد زوجات الرسول - ﷺ - في تلك الفترة جعل إيصال الأحكام إلى نساء المسلمين أيسر وأسرع فقد كانت زوجاته- ﷺ - عالمات حافظات معلمات لبنات جنسهن أمور الدين ولهذا كان سبباً من أسباب تعدد زوجاته - ﷺ - نقل الشريعة وخاصة الأمور الخاصة بالنساء وبهذا استفادت نساء الصحابة والمسلمين بطريقة عملية من تلك التشاريع وبالإضافة إلى أمور النساء عرف المسلمون عن طريق زوجاته عبادة الرسول - ﷺ - داخل بيته وما كان يفعله عند قيام الليل وغير ذلك.

2 ـ ومن أسرار وحكم تعدد زوجاته- ﷺ - ما يستدل به على أخلاقه العالية وصفاته الحميدة فلو كانت له زوجة واحد أو اثنتان طيلة حياته فقد تخفيان شيئاً من أقواله وأعماله والكثرة تمنع ذلك خاصة أن بعض أزواجه من بنات أعدائه فإنهن يطلعن على بواطن أمره وتعرف كل واحدة من سره مالا يستطيع غيرها أن يطلع عليه فلو كان على غير ما وصف به من الأخلاق الرفيعة والسيرة الحسنة والمعاشرة الطيبة والصدق والأمانة فيما يدعو إليه لا نكشفَ أمره لزوجاته ولفضلن الرجوع إلى أسرهن وقبائلهن ومعظمهن

(1) سنن النسائي شرح السيوطي ج7: 64.

بمكانة سامية عند قومهن مثل أم حبيبة[1] بنت أبي سفيان سيد قريش وقائد المشركين وكذلك جويرية[2] بنت الحارث سيد بني المصطلق وصفية[3] بنت حيي زعيم اليهود وغيرهن، فلو لم يكن الرسول- ﷺ - أكمل الناس في أخلاقه صادقاً في دعوته لرجعت كلٌّ منهن إلى أهلها ولكن الذي حدث عكس ذلك تماماً.

3 ـ ومن أسرار تعدد زوجاته أن يتعلم المسلمون من خلال حياته مع زوجاته كيفية التعامل مع الزوجات فالرسول - ﷺ - كان قدوة عملية ومثلاً أعلى يحتذى به كل مسلم في معاملته لزوجاته فترك لهن حرية الكلمة والتعبير عن الرأي مادام ذلك لا يمس شعور الأخريات أو يسيء إلى أحد أو يغضب الله ورسوله وكان يشاور نساءَه ويأخذ بالرأي الصائب كما حدث في صلح الحديبية مع زوجه أم سلمة وغيرها من المواقف التربوية التي سوف نتعرض لها في موضوع التعليم والتربية.

4 ـ ومن أسرار التعدد في حياته الأحكام التشريعية:

أ) من الأسباب التشريعية زواجه بزينب بنت جحش[4] للقضاء على عادة التبني المعروفة والمنتشرة عند العرب في الجاهلية فكان الرجل يلحق بنسبه من يشاء فيعطيه اسمه ولقبه ويأخذ مكان الابن الحقيقي ويتساوى معه في كافة الحقوق والواجبات فتحرم على المتبني زوجة متبناه عند طلاقها أو موته مع أنها

---

(1) الاستيعاب ج4: 1843، الإصابة ج4: 305، أعلام النساء ج1: 664، تاريخ الطبري ج 3: 40، الطبقات ج2: 98، تهذيب التهذيب ج12:419.

(2) فقه السيرة للبوطي ص203، سير أعلام النبلاء للذهبي ج2: 261.

(3) كتاب الثقات ج2: 140، الدرر المنثور ص 264، كتاب المحبر.

(4) دلائل النبوة للبيهقي ج2: 427، كتاب المحبر ص 85، حلية الأولياء ج2: 51، موسوعة رجال الكتب التسعة ـ د. عبد الغفار البنداري ـ ج4: 326، صحيح مسلم ج2: 596.

في الواقع حلال له لأنه ليس بابنه الحقيقي الذي من الصلب ويرث الابن المتبني أمواله وهي في واقع الأمر ليست من حقه.

وقد تحل للمتبنَّى فتاة فتكون في الحقيقة أخته فتختلط الأنساب فنهوا عن ذلك لفداحة نتائجه، وأبطل الله التبني وما يترتب عليه من أحكام لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[2] وكانت العرب في ذلك الوقت لا تتصور أن يتزوج المتبني زوجة متبنّاهُ لأنهم يعتبرونها كزوجة الابن الحقيقي فهي محرمة على الأب فلو صدر هذا من إنسان عادي لكان العربي في شك من هذا الأمر ولكن حينما يصدر هذا الأمر من الرسول - ﷺ - فيتزوج زوجة متبنّاه زيد بعد أن طلقها يكون أوقع في النفس وأقوى دلالة على إبطال هذه العادة فيتقبله المسلمون قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[3].

وبعد زواج زينب بنت جحش من زيد بأمر من الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ... ﴾[4]، ولكن الحياة لم تستقر بينهما وانتهت العلاقة إلى الطلاق فسبحن الله مقدر الأمور

---

(1) سورة الأحزاب آية 5.

(2) سورة الأحزاب آية 4.

(3) سورة الأحزاب آية 37.

(4) سورة الأحزاب آية 36.

العليم الخبير فقد كان زواج زينب بزيد لترضية النفوس المسلمة وتوجيهها بأنه ليس هناك فرق بين مولى وحر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وعندما كانت نهاية العلاقة بينهما الطلاق بدأ أمر تشريعي آخر وهو إلغاء التبني وإباحة الزواج بزوجته وأنَّهُ ليس كالابن الحقيقي ولكن مخالفة هذه العادة وهدمها من أساسها كان شاقّاً على النبي - ﷺ - لما علم من تمسك الناس بالعادات والتقاليد وإن كانت فاسدة وغير صحيحة، ولكن الله ألهمه أن فرض زيداً على زينب وعدم استقرار الحياة بينهما وشكوى زيد الدائمة للرسول - ﷺ - من زينب كل ذلك جعله يتوقع أن الله فرض ذاك الزواج لحكمة أخرى وهو إلغاء ما كان في الجاهلية من منع الزواج بزوجة المتبنَّى ولهذا كان يخشى أن يأمره الله بتطبيق تلك القاعدة الشرعية هو نفسه بأن يتزوج زينب بعد طلاقها من زيد وهو القدوة للمسلمين وعندما يفعل ذلك يكون للأمر أثره القوي ويسهل تطبيقه فيما بعد ولا يكون هناك حرج على من يفعل ذلك ولكن النبي - ﷺ - حسب ما وجدته في كتب التفسير الصحيحة التي لم تدخلها الإسرائيليات تقول: إنَّ الذي كان يخشاه - ﷺ - هو ما سيقوله الناس وإرجاف المنافقين من انه تزوج من مطلقة رجل كان يتبناه فخشي أن يكون كلامهم فتنة لضعفاء الإيمان ولا يفهمون حكم الله في هذه القضية فيهلكوا[1].

وهكذا نرى أن زواجه - ﷺ - بزينب كان تطبيقا عمليّاً لإلغاء التبني وما يترتب عليه من مفاسد ولكن المستشرقين وأعوانهم اتخذوا من هذه القضية مادة يحاولون بها النيل من الرسول - ﷺ - فاختلقوا وافتروا قصة تصرفوا في أحداثها بصورة لا تليق بسيد المرسلين - ﷺ - وأدخلوا عليها من الخيال

(1) تفسير الجواهر ج16: 30، الجديد في تفسير القرآن المجيد ـ محمد البزوازي ـ ج5: 439، تفسير القرطبي ج14: 191، التحرير والتنوير ـ ابن عاشور ـ ج22: 34.

المريض ما ننزه عنه الأسماع ونرى أن ذلك إقدامٌ فظيع من قائله وقلة معرفة لمقامه المحمود وخلقه الرفيع - ﷺ -، ومن خلال ما سبق اتضح السر في زواجه - ﷺ - بزينب بنت جحش وأيضاً ترتب على ما سبق زواج الحر بزوجة المولى بعد طلاقها، فبعد أن تزوجت حفيدة عبد المطلب وظن الناس أنها انخفضت درجة بهذا الزواج فلم تعد صالحة لزواج من قرشي حر تزوجها الرسول - ﷺ - بأمر الله فترقى إلى أعلى الدرجات ليؤمن الناس بالمبدأ الإسلامي مبدأ المساواة بين جميع الناس وقام بتطبيقه عملياً الرسول - ﷺ -.

فالخلاصة حرمت نسبة الأدعياء إلى من يتبنَّونهم وأمرت برد نسبتهم إلى آبائهم الذين ولدوهم من أصلابهم كما جاء في القرآن الذي ذكر سابقاً وأيضاً بالسنة القولية كما قال - ﷺ - «من أدعى لغير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه....»[1] وأيضاً بالسنة العملية والتطبيقية لأن التبني كان من الأمور التي لها جذور عميقة في الجاهلية وامتدت فترة من صدر الإسلام وكان قد استعمل ذلك الأمر واستحكمت تلك الآثار وأراد الله إبطال ذلك فأنزل سورة الأحزاب وأمر الرسول - ﷺ - بالسنة العملية أن يتزوج زوجة متبناه وخص ذلك الزواج بعناية لم تكن لغيره من أنكحةِ البشرية وأنزل فيه قرآناً يتلى في قوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ...﴾[2]، وقد جعل الله لهذا الزواج ذات الرسول - ﷺ - كعبء من أعباء الرسالة التي كلفه بها لأنه هو المشرع والإمام الأول، فتطبيقه لهذه المسألة أدعى لهدمها وانمحاقها[3] وهذا الزواج الذي شرع الله به شرعاً عاماً للمؤمنين قد تم مرتباً على زواج زيد

---

(1) البخاري..

(2) سورة الأحزاب الآية 37.

(3) التحقق في قضية زواج النبي - ﷺ - بزينب - م / محمد الجيلني ص 33.

بزينب ترتيباً يلفت النظر إلى حكمة الله وذلك أن زيداً كانت لـه محبـة في قلـب الرسـول - ﷺ - فعنـدما فكـر في تزويجـه أنتخـب لـه مـن شريفـات قـريش وفضلياتها وكانت لزينب المكانة المرموقة من الشرف والتقـوى ولم يفكـر - ﷺ - في الزواج بها وإنما خطبها لزيد، وكان العرف السائد آنذاك يحرمها عليـه ولم تستجب زينب أولاً حتى نزل القـرآن يبـين أن نكـاح زيـد لزينـب قـضاء الله ورسوله فرضيت زينب وتم الزواج وقضى زيـداً وطـره منهـا ولكنـه لم يكـن مستريحاً معها ولم يطب له العيش فطلقها رغم أن الرسول - ﷺ - كان ينصحه بإمساكها، وعندما تمت عدتها نزل القرآن يأمر الرسول - ﷺ - أن يتـزوج بهـا كل ذلك لحكمة عظيمة أن لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إنـما يحرم زوجة الابن من الصلب وليس زوجـة المتبنَّـى وبعـد زواج زينـب بنـت جحش من زيد بأمر من الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ....﴾[1]، ولكـن الحيـاة لم تـستقر بينهما وانتهت العلاقة إلى الطلاق فسبحن الله مقدر الأمور العليم الخبـير فقـد كان زواج زينب بزيد لترضية النفوس المسلمة وتوجيهها لأنه ليس هناك فرق بين مولى وحر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وعندما كانت نهاية العلاقة بيـنهما الطلاق بدأ أمر تشريعي آخر وهو إلغاء التبني وإباحـة الـزواج لزوجتـه وإنـه ليس كالابن الحقيق ولكن مخالفة هذه العادة وهدمها من أساسـها كـان شـاقّاً على النبي - ﷺ - لما علم مـن تمـسك النـاس بالعـادات والتقاليـد وإن كانـت فاسدة وغير صحيحة.

(1) سورة الأحزاب الآية 36.

ب) ومن الأسرار التشريعية لتعدد زوجاته - ﷺ - زواجه من ميمونة بنت الحارث أخت زوجته زينب بنت خزيمة لأمها والتي ماتت في حياته - ﷺ - ليبين للناس إباحة الزواج بالأخت بعد موت أختها[1].

ج) وتزوج بصفية[2] اليهودية وماريا[3] القبطية لإباحة الزواج بالكتابية وخاصة إذا أسلمت وحسن إسلامها، ومن خلال ترجمتهما فإنهما اسلمتا وحسن إسلامهما، وقد ضرب - ﷺ - مثلاً كريماً في العمل على كسب مودة المسيحيين واليهود.

د) وأيضاً تزوج أم سلمة[4] التي كانت زوجة أخيه من الرضاعة ليشرع للناس بطريق عملي أن الزواج بزوجة الأخ من النسب أو الرضاعة بعد وفاته جائز ومباح حتى يحل العم محل الأب في تربية أولاد أخيه والعناية بهم وهو أقرب الناس إليهم.

هـ) والذي لا مجال للشك فيه أنه - ﷺ - شرف بعض الأرامل بالزواج منهن لأن المرأة في الجاهلية إذا مات عنها زوجها تصبح مما يورث مع تركة زوجها فجاء الإسلام وكرم المرأة وجعل من حقها أن تبدأ حياة جديدة بعد انتهاء عدتها فتزوج - ﷺ - ببعض الأرامل لرفع مكانة الأرملة وإلغاء ما كان في الجاهلية من ظلمها وإهانتها.

و من الأخبار الواردة والحاضرة أن المرأة كانت إذا طلقت تصبح فرصتها في الزواج مرة أخرى نادرة ويضعون اللوم كله عليها في ذلك الطلاق

---

(1) الخصائص الكبرى للسيوطي ج3: 21، الدرر المنثور ص232.

(2) عصر النبوة والخلافة الراشدة ج2: 208.

(3) تاريخ اليعقوبي ج5: 85، أعلام النساء ج5: 139.

(4) جمهرة أنساب العرب ابن حزم ص139، نسب قريش ص337.

فتزوج - ﷺ - ببعضهن حتى يزيل من أذهان الناس الصورة المشوهة التي يحملونها للمطلقة، وأيضاً ليبين للناس أن الطلاق مع أنه أبغض الحلال إلى الله إلا أنه يحل المشاكل التي لا يمكن أن تنتهي إلا عن طريقه ولهذا شرعه الله.

5 ـ ومن أسرار التعدد في حياته - ﷺ - الأسباب الاجتماعية وهي كثيرة منها زيادة أواصر الصداقة بينه وبين السابقين إلى الإسلام ومنهم أبو بكر الصديق حيث أراد - ﷺ - أن يكرم أبا بكر ويقربه أكثر من قلبه فتزوج ابنته عائشة[1] فزاد القرب وأصبح يدخل بيت الرسول - ﷺ - في أي وقت شاء وفعل - ﷺ - مثل ذلك مع عمر بن الخطاب فتزوج ابنته حفصة[2] وقويت الرابطة بينه وبين عمر كما أنه - ﷺ - فعل ذلك مكافأة لهما على حسن إسلامهما وما فعلاه في سبيل الله وبالدعوة الإسلامية.

وأيضاً كافأ - ﷺ - بعض الأسر التي كانت لها الأسبقية للإسلام واستشهد رب الأسرة وبقي الأطفال دون عائل والأرامل دون حماية والمرأة في ذلك الوقت ليس لها دخل خاص تنفق منه على نفسها وأولادها فهي إما أن تكون نفقتها على أهلها قبل زوجها أو تكون النفقة على الزوج بعد انتقالها إلى بيته، وكانت النساء اللاتي أسلمن دون رضا أهلهن وهاجرن مع أزواجهن إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة وفي المدينة استشهد أزواجهن وبقين دون معين فتكفل الرسول - ﷺ - ببعضهن ووقاهن شر العوز ونفقة الأولاد وشرفهن بأن أصبحن أمهات للمؤمنين فما أروعه من تصرف حكيم بوحي من رب العالمين.

---

(1) المغازي للواقدي ج2: 426، تذكرة الحفاظ للذهبي ج2: 28، سيرة ابن كثير ج4: 271، الأعلام الزركلي ج4: 5.

(2) أعلام النساء عمر كحالة ج1: 779، كتاب المحبر ص83

6 ـ ومن حكم التعدد وأسراره في حياته- ﷺ - الأسباب السياسية:

لقد تزوج الرسول - ﷺ - من بعض بنات زعماء القبائل لتأليف القلوب وتخفيف حدة العداوة بينه وبينهم وإنشاء صلات مصاهرة بين بطون قريش وقبائل العرب لتقريب الشقة بينه وبينهم وليمدوا جسراً يعبر عليه إلى تلاشي الخصومة والعداوة[1]، فكان زواجه بسودة بنت زمعة تأليفاً لبني عبد شمس وبني هاشم وتخفيفاً لحدة التوتر بينهما وكان تشريفا لبني النجار أخوال الرسول - ﷺ - لأن أم سودة الشموس بنت قيس من بني النجار.

وأيضاً زواجه من أم حبيبة بنت أبي سفيان لإزالة العداوة بين المسلمين وكفار قريش وعلى رأسهم أبو سفيان.

أما زواجه بجويرية بنت الحارث[2] زعيم بني المصطلق الذي هزمه المسلمون وانتصروا عليه وعلى قومه انتصاراً رائعاً فكاد الهم يقضي عليه فأراد النبي - ﷺ - مواساتهم وتخفيف الأمر عليهم فصاهرهم بالزواج من ابنة زعيمهم وكان هذا الزواج سبباً في عودة الحرية لقومها كما هو مكتوب في كتب السيرة وارتفعت معنوياتهم ودخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم وهذا مكسب كبير للإسلام.

أما زواجه - ﷺ - من صفية فَقَدْ كان إعزازاً من ذل فهي سيدة بني قريظة وابنة سيدهم فأراد - ﷺ - أن يخفف من وطأة العداوة بين المسلمين واليهود وأن يخلق جواً جديداً يتيح الفرصة لليهود أن يعدلوا عن سياستهم العدوانية وأن يعيشوا مع المسلمين في صفاء وسلام، فأعتقها وجعل عتقها صداقها وتزوجها، ولكن أنى يفهم اليهود ذلك[3]، والخلاصة أن تعدد زوجاته - ﷺ - كان بأمر من

---

(1) دراسة تحليلية لشخصيته ـ ﷺ ـ د/ محمد قلعة ص 171.

(2) الروض الأنف للسهيلي ج4: 19، الخصائص الكبرى للسيوطي ج2: 14، سيرة ابن كثير ج3: 303.

(3) كتاب محمد الجيلاطي ص62، الدرر المنثور ص264، الاستيعاب ج4: 1872، موسوعة الرجال التسعة د. عبد الغفار البنداري ج4: 232.

الله وكان لحكم وأسرار سامية ذكرنا ما علمنا منها وما لم نعلمه أكثر وبهذا نستطيع أن نقول: إنَّ التعدد في حياته- ﷺ - كان لمصلحة الدعوة الإسلامية وعندما انتقل- ﷺ - إلى الرفيق الأعلى أصبحت بيوت زوجاته منارة ومثابة وجامعة كبرى للمسلمين جميعاً من رجال ونساء.

وهكذا انتهينا من مبحث حق المرأة في اختيار شريك الحياة وما يلحق ذلك من طلاق وتعدد وغيره وقبل الانتقال إلى حق آخر للمرأة المسلمة أريد أن ننوه بأن الرسول - ﷺ - أعطى حق اختيار الزوج حتى للإماء وذلك أن بريرة مولاة عائشة[1] أم المؤمنين، أعتقتْها وكان زوجها عبداً أسود يقال له مغيث وكانت تكرهه، وكان يحبها، فاستشفع الرسول - ﷺ - فشفع - ﷺ - له عندها فقالت: يا رسول الله تأمرني، قال - ﷺ -: «إنما أنا أشفع» قالت: لا حاجة لي به، فلم يفرض عليها الرجوع إليه وترك لها حرية الاختيار.

حق التعليم والتعلم مع التوجيه والإرشاد:

إن القرآن أشار إلى العلم في نصوص كثيرة، وأول ما نزل على الرسول - ﷺ - من القرآن كان يأمر بالعلم، والعلم في نظر الإسلام شرف وواجب وحق، والرسول - ﷺ - ما حرص على شيء حرصه على أن يخرج قومه من الظلمات إلى النور.

فمن محاسن الإسلام الدعوة إلى الأخذ بأسباب العلم دون تحديد وأن يكون العلم نافعاً كما أن الإسلام لم يقصر العلم على الرجال دون النساء فهو في نظر الإسلام شرفٌ وحقٌّ وواجب والرسول- ﷺ - بعث مبلغاً ومعلماً فهو في كل مقام يقومه وموطن يشهده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويشرح في حادثة ويفتي في نازلة والأسماع إليه مصغية والقلوب لما يرد عليها من قوله

(1) الطبقات ج8: 257، أعيان النساء 605، تقريب التهذيب ج2: 591، الثقات ج3: 332.

واعية، فعندما كان يوجه الرجال ويرشدهم إلى الطريق الصحيح في الدنيا والآخرة، خصص مجالس للنساء للتعليم والإرشاد[1] والتوجيه والإعداد لدور نشر الدعوة الإسلامية، فقد رسم لهم جميعاً رجالاً ونساء سبيل الخير وحثهم على السير فيه وأوضح لهم سبل الضلال وحذرهم منها، ولهذا جعل للمرأة الحق في حضور مجالس العلم، والحصول على ما تشاء من علم وأدب وثقافة وتهذيب حتى تتعلم أمور دينها وتحسن القيام بوظائفها في الحياة في جو تسوده روح التقوى وأدب العلم، فكان الاجتماع للاستماع للدرس أسلوباً حضارياً مألوفاً في عهده و- ﷺ -، فالعلم النافع يربي شخصية المرأة ويمكنها من مواجهة المفهوم السطحي والمتخلف للغرب عن المساواة ومفهوم تحرر المرأة الذي انحط إلى مستوى التحرر من الأخلاق والحياء بل التحرر من مهمة بناء الأسرة والذي هو أقصر طريق لهدم المجتمعات فالرسول - ﷺ - حرص واهتم بتعليم النساء الأمور الدينية والدنيويَّة فالأم هي المدرسة الأولى لتعليم الأجيال وتخريج الأبطال ولهذا كانت مجالس العلم مجالاً لنشر العلم والتوجيه والإرشاد وأيضاً مجالاً للتعبير عما يجيش في صدور النساء من تساؤلات تنفعهن في دينهن ودنياهن.

كما أن المرأة من حقها الذهاب إلى المساجد وشهود مجالس الذكر وممارسة الشعائر في أدب وعفة قال - ﷺ -: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجْنَ وهن تفلات» أي غير متطيبات، وقال - ﷺ -: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها»[2].

---

(1) البخاري بشرح الكرماني ج2: 98.

(2) البخاري باب استئذان المرأة زوجها ج7: 49، كتاب السنن المأثورة الشافعي ص243.

وخروج المرأة للمساجد يكون لحضور مجالس العلم وأمور الشريعة أما الصلاة فالأحسن أن تكون في بيتها، فقد كانت أم حميد الأنصارية عابدة من عابدات صدر الإسلام قالت للرسول - ﷺ -: «إني أحب الصلاة معك»[1]، قال - ﷺ -: «صلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك....» فأمرت أن يبنى لها مسجد في أقصى شيء في بيتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله، ولعل في هذا الحديث دليلاً على أنه الأحسن للمرأة الصلاة في مكانها الذي تنام فيه أفضل من الصلاة في فناء دارها المكشوف وخاصة إذا كانت تعرف كيفية الصلاة الصحيحة الكاملة، كما أنه سمح - ﷺ - للنساء بالخروج لصلاة العيد فعن أم عطية أنه - ﷺ - قال: «ليخرج العواتق وذوات الخدور والحيض ويشهدن العيد ودعوة المسلمين وليعتزل الحيض المصلى»[2] فقالت يا رسول الله إن لم يكن لها جلباب قال فلتُعْطِها أختها من جلابيبها ويعني بالعواتق جمع عاتق وهي التي قاربت البلوغ وذوات الخدر جمع خدر وهو الستر أو البيت والحيض جمع حائض. وفي البخاري وغيره حديث أبي سعيد الخدري قال: «خرج الرسول - ﷺ - في أضحى أو فطر أي عيد إلى المصلى فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة..... ثم مر على النساء فقال يا معشر النساء تصدَّقْن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن بما ذلك يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات

(1) أعيان النساء ص98. كتاب مرويات ابن مسعود. د/ شريف العبدلي ج1 ص454.

(2) سنن النسائي لشرح السيوطي ج3: 180، البخاري بشرح الكرماني ج6: 78. ابن ماجة ج1، ص409.

عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء»[1] ومعنى الكفر هنا جحود النعمة وهو كفران الحقوق والنعم من الزوج، وفي روايات أخرى قال: «لأنكن تكثرْنَ الشكاة وتكفّرن العشير»، وفي رواية أخرى إنه قال - ﷺ -: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل أيكفرن بالله، قال يكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت خيراً قط»[2] وعن جابر قال: «شهدت الصلاة مع الرسول- ﷺ - في يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة..... ثم قام متوكئاً على بلال فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكرهم ثم قام ومضى إلى النساء ومعه بلال فأمرهن بتقوى الله ووعظهن وذكرهن..... ثم قال تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم، فقالت إحداهن بما يا رسول الله، قال تكثرن الشكاة وتكفرن العشير، فجعلن ينزعن بعض حليهن يتصدقن بها»[3]. وفي روايات أخرى عن ابن عباس وغيره أنه - ﷺ - بعد أن خطب رأى أنه لم يسمع النساء فأتاهنّ فذكرهن ووعظهن وأمرهن بالصدقة وكان معه بلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة[4]

وهذا يدل على أن النساء كن على حدة من الرجال غير مختلطات بهم وكان معه بلال لأنه هو متولي قبض الصدقة، وفي رواية أبي سعيد الخُدريّ قال كان - ﷺ - يخرج يوم العيد فيصلي بالناس ركعتين ثم يسلم ويستقبل الناس وهم جلوس

---

(1) البخاري بشرح الكرماني ج7: 199.، مسلم ج2 ص 604.

(2) البخاري بشرح الكرماني ج1: 134، إرشاد الساري لشرح البخاري للقسطلاني مج2: 222.

(3) سنن النسائي لشرح السيوطي ج3: 187.، التبايان بشرح ما اتفق عليه الشيخان. عبد العزيز السيروان ج 1 ص 170.

(4) صحيح مسلم ج2 ص 602، فتح الباري شرح الصحيح البخاري ابن حجر ج2 ص 591، سنن أبي داود ج 1 ص 200.

فيقول: «تصدقوا تصدقوا. فأكثر من يتصدقن النساء بالقرط والخاتم»[1]، وفي الأحاديث السابقة فوائد كثيرة منها استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام وتذكيرهن بما يجب عليهن، ويستحب حثهن على الصدقة وفيه دلالة على جواز صدقة المرأة من مالها من غير أخذ الإذن من زوجها أو الأهل وأنَّ الصدقة من دوافع العذاب لأنه أمرهن بالصدقةِ وعلل ذلك بأنهن أكثر أهل النار. وبهذا نرى كيف كان - ﷺ - يعلم النساء ويرشدهن إلى طريق التقوى حتى أصبحت منهن العالمات المعلمات فهذه الشفاء العدوية التي أشرت إليها سابقاً فهي المعلمة الأولى في الإسلام جعل لها داراً ومركزاً علمياً تعلم فيه بنات جنسها القراءة والكتابة مما يدل على اهتمامه - ﷺ - بانتشار العلم ومحو الأمية، وبذلك نبغ منهن عدد كثير برزن في شتى أنواع المعرفة بل ظهر بينهن معلمات كن مراجع في الدين مثل عائشة التي كانت المرجع الأول في الحديث والسنة وغيرها.ومن طرق تعليمه - ﷺ - لهن الاستماع للأسئلة والإجابة عنها، فقد كان - ﷺ - يسمح للنساء بالأسئلة والمناقشة والحوار حتى تفهم كل واحدة ما تريد أن تصل إليه وذلك لأن الأم مدرسة يتربى في أحضانها جيل جديد تعطيه كل ما عندها وتثبت في نفسه كل ما لديها ولذلك حرص - ﷺ - على تعليمهن وشجعهن على الأسئلة حتى يفهمن دينهن لهذا كانت تتوالى الأسئلة من النساء متناولة عظيم الأمور وصغيرها وتتوالى الأجوبة النبوية الموجهة للمرأة المسلمة والمعلمة لها أمر دينها ودنياها لتكون العضو الصالح في مجتمعها المسلم، ومن ذلك أن الشفاء العدوية سابقة الذكر كانت تأتي إليه لتسأله وتناقشه في أمور كثيرة وكان - ﷺ - يدهش لسعة معارفها وعمق اهتماماتها واكتشف في شخصها نموذجاً للمرأة المسلمة التي يمكنها أن تلعب دوراً بارزاً في تطوير الحركة النسائية في المجتمع الإسلامي، كما أنَّها كانت راوية للحديث صادقة الرواية أمينة

(1) النسائي شرح السيطوي ج3 ص 190، ابن ماجة ج 1 ص 409.

للحديث[1]. **وهذه أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الدوسية**[2] ويقال لها فكيهة، بنت عم معاذ بن جبل خطيبة النساء كانت تكنى أم سلمة سفيرة النساء إليه- ﷺ - محدثة فاضلة ومجاهدة شجاعة من ذوات العقل والدين من اللواتي تخرجن من مدرسة النبوة لا تعرف الخضوع في القول ولا الهبوط في المستوى قدمت لبنات جنسها نماذج رائعة في شتى الميادين، ومن ذلك فقد عرفت بحسن المنطق وقوة البيان، أتت الرسول - ﷺ - فقالت: إني رسول من ورائي جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء قواعد بيوتكم حاملات أولادكم وإن الرجال فضلوا بالجمعة والجماعات وشهود الجنائز والجهاد في سبيل الله أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله، فالتفت - ﷺ - إلى أصحابه ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه[3] ثم التفت إليها فقال أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته يعدل ذلك كله. نستنتج من خلال حديثها مع الرسول - ﷺ - إلى اعترافه بحق المرأة في أن تتزعم النساء وتوحد كلمتهن في الخير، وأيضاً يدل على ما كانت تتمتع به المرأة من الجرأة والمقدرة على حسن الحديث وهذا يعطينا صورة صادقة على مكانة المرأة في عهده وكيف كان - ﷺ - يسمح لها بالأسئلة والمناقشة وإبداء الرأي، وهي التي سألته عن طريقة التطهر من الحيض فكانت لا تستحي في معرفة أمور الدين[4].

---

(1) نساء الصحابة ص245، مائة من أوائل النساء ص194، الإصابة ج4: 341.

(2) أسد الغابة ج7: 343، حلية الأولياء ج2: 7.

(3) تاريخ دمشق تراجم النساء ص235، رجال ونساء حول الرسول- ﷺ - ص451، نساء حول الرسول - ﷺ - ص201.

(4) البخاري شرح الكرماني ج3: 181.

وقد عاشت حتى شهدت اليرموك وقتلت تسعة من الروم بعمود خبائها، وأريد أن أوضح أن هناك من يخلط أحياناً بين هذه الصحابية أم سلمة وبين أم سلمة أم المؤمنين، ولهذا يجب التأكد من ذلك حتى لا تنسب المواقف لغير أصحابها.

ومن النساء الفصيحات **أم رعلة القشيرية** التي سألته - ﷺ - عما يقربها إلى الله قائلة: «السلام عليك، إنَّا ذوات الخدور ومحل أزر البعول ومربيات الأولاد وممهدات المهاد ولا حظ لنا في جيش فهل لنا في شيء يقربنا إلى الله، فقال - ﷺ - لها عليكن بذكر الله آناءَ الليل وأطراف النهار وغض البصر وخفض الصوت.... الحديث» وسألته قائلة «أني امرأة مقينة أقين وأزين النساء لأزواجهن فهل هو حوب أتركه، فقال لها يا أم رعلة زينيهنَّ لأزواجهن»[1].

وهذه الحولاء[2] بنت ثويت العطارة كانت من المجاهدات في العبادة قالت عائشة: إنها لا تنام الليل وهي من أعبَد أهل المدينة فقال - ﷺ - «عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا»، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل، وقد سألته الحولاء عن واجب الزوجة نحو زوجها فقال - ﷺ - «من حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها وأن لا تصوم يوماً إلا بإذنه إلا فريضة ولا تعطي من بيته شيئاً إلا بإذنه فإن فعلت كان له الأجر وعليها الوزر، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى ترجع، وإن أطاعت المرأة زوجها وأدت حقه ولا تخونه في نفسها وماله كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة في الجنة فإن كان مؤمناً حسن الخلق فهي زوجته في الجنة وإلا زوجها الله من الشهداء»[3].

---

(1) الإصابة ج4: 450، أسد الغابة ج7: 331.

(2) الإصابة ج4: 277، نساء الصحابة 303، مسؤولية النساء تجاه الأمة الإسلامية د. سامية عبد العزيز ص27.

(3) ابن ماجة ج1: 572.

وهذه أم سليم سابقة الذكر كانت لا تستحي أن تسأله - ﷺ - في كل ما يتعلق بالنساء وتقول من واجبنا أن نسأل الرسول - ﷺ - عما أشكل علينا خير من أن نكون منه في عمياء[1]، وعن أم سلمة قالت «جاءت أم سليم للرسول - ﷺ - فقالت هل على المرأة غسل إذا هيَ احتلمت فقال نعم إذا رأت الماء فقالت أم سلمة وتحتلم المرأة، قال نعم فبما يشبهها ولدها».

وفي النسائي[2] أن قصة احتلام المرأة سمعتها أم سلمة وعائشة زوجتاه - ﷺ - وتعجبتا منها فقيل لعل أزواجه لا يقع لهن الاحتلام لأنه من الشيطان فعصمن منه تكريماً له - ﷺ - كما عصم عليه الصلاة والسلام منه، وقيل لأنهن لا يطعن غيره لا يقظة ولا نوماً والشيطان لا يتمثل به.

وهذه عائشة أم المؤمنين التي قال عنها أبو موسى الأشعري ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً[3] وذكرها السيوطي في الحفاظ وقال عنها الذهبي أفقه نساء الأمة كانت لا تسمع حديثاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه فقد قال - ﷺ - «من حوسب عذب»[4] فقالت عائشة أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[5]، فقال- ﷺ - : «إن ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك»، وقد سألته عائشة عن الالتفات في الصلاة فقال- ﷺ- «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[6].

---

(1) الثقات ج3: 461، البخاري شرح الكرماني ج2: 160.

(2) سنن النسائي شرح السيوطي ج1: 112.

(3) الترمذي كتاب المناقب، السيرة النبوية أبو الحسن الندوي ص412.

(4) البخاري كتاب العلم باب من سمع شيئاً.

(5) سورة الانشقاق آية 8.

(6) البخاري شرح الكرماني ج5: 118.

وعن عائشة قالت ألا ننفر ونجاهد معكم فقال - ﷺ -: «لكنَّ أحسن الجهاد الحج المبرور، فقالت فلا أدع الحج بعد أن سمعت هذا منه»[1]، وعن عائشة في حجة الوداع قالت: يا رسول الله أعتمرتم ولم أعتمر فقال - ﷺ - : «يا عبد الرحمن اذهب بأختك فاعتمرها من التنعيم»[2]، وفي رواية أخرى أنها قالت: قدمت مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة فشكوت ذلك للرسول - ﷺ - قال: «افعلي كما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري»[3].

وعن جويرية بنت الحارث زوجته- ﷺ - دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: «أصمتِ أمس قالت: لا قال: تريدين أن تصومي غداً قالت: لا قال: فأفطري»[4].

وجاءت امرأة فقالت: «فريضة الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم»[5]. وقال - ﷺ - «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم فقال رجل يا رسول الله إني أريد أن اخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج فقال اخرجْ معها»[6]. وجاءت امرأة قالت: إنَّ أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيهِ عنها قال «نعم دين الله أحق أن يقضى»[7]. وهذه سبيعة الأسلمية وضعت حملها بعد وفاة زوجها

---

(1) البخاري شرح الكرماني ج9: 57.

(2) البخاري شرح الكرماني ج8: 58.

(3) البخاري شرح الكرماني ج8: 150.

(4) البخاري شرح الكرماني ج9: 134.

(5) النسائي شرح السيوطي ج5: 118.

(6) البخاري شرح الكرماني ج9: 57.

(7) البخاري شرح الكرماني ج9: 122.

بوقت قصير وأرادت الزواج فسمح لها بذلك حيث انتهت العدة بوضع الحمل لأن عدة المتوفى عنها أربعة أشهر وعشرة أيام أما إذا كانت حاملاً فتنتهي العدة بوضع الحمل[1] وفي رواية ابن ماجة أنَّ سبيعة وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة وعشرين يوماً فتهيأت تطلب الخير فمر بها رجل فقال قد أسرعت فقالت أتيت النبي - ﷺ - فقلت يا رسول الله استغفِرْ لي قال فبما ذاك فأخبرته الخبر فقال «إن وجدت زوجاً صالحاً فتزوجي». وسألته هند زوجة أبي سفيان أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وأولادها لأن زوجها شحيح فقال لها - ﷺ - «خذي من مال زوجك ما يكفيك وولدك بالمعروف وأمانة من غير خيانة»[2]. كما أنه - ﷺ - علم المرأة التي تغسل موتى النساء الطريقة الصحيحة لغسل الموتى فقد قالت أم عطية التي تقوم بهذه المهمة: إنَّه قال لها: «اغسلنها بماء وسدر واغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور»[3]، وقالت أيضاً أم عطية أخذ علينا البيعة أي النساء على أن لا ننوح[4].

كما أنه - ﷺ - كان يعلم النساء كيفية التصرف في بعض المواقف ومن ذلك قالت عائشة ما رأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت إليه إناءً فيه طعام فما ملكت نفسي أن كسرته ثم ندمت على ذلك فسألته عن كفارته فقال - ﷺ - «إناء كإناء وطعام كطعام»[5].

---

(1) النسائي شرح السيوطي ج6: 188. ابن ماجة ج 1 ص 654.

(2) خاتم النبيين ـ أبو زهرة ـ ج2: 237.

(3) السنن الكبرى للبيهقي ج1: 7.

(4) سنن النسائي شرح السيوطي ج7: 149.

(5) سنن النسائي شرح السيوطي ج7: 71.

كما أنه - ﷺ - عندما مات عثمان بن مظعون بكت النساء فقال لهن ابكين وإياكن ونعيق الشيطان ثم قال- ﷺ - «ما كان من العين والقلب من الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان»[1]، وأيضاً عندما مات عثمان بن مظعون وهو من هو في الزهد وترك الدنيا وحب الآخرة قالت امرأته هنيئاً لك الجنة فقال لها الرسول- ﷺ - «وما يدريكِ؟... والله إني لرسول الله فما أدري ما يفعل بي ولا به»، وقال - ﷺ - أيضاً لامرأة قالت لميت: أكرمك الله فقال «وما يدريكِ أن الله أكرمه ثم قال - ﷺ - والله أني لأرجو له الخير وإني لرسول الله وما أدري ما يفعل بي، فقالت المرأة فلقد تعلمت منه لا أزكي بعده أحداً»[2].

ومن مواقفه التربوية - ﷺ - أن الربيع بنت معوذ[3] من قريباته دخل عليها غداة عرسها فوجد عندها نساء يضربن بالدف ومن قولهن: وفينا نبي يعلم ما يكون في غد، فقال - ﷺ -: «دعن هذا القول» أو قال «ما يعلم ما في الغد إلا الله» وفي رواية أخرى قال «أسكتن عن هذا وقلن الذي كنتن تقلن قبله» فعلمهن - ﷺ - أنه لا يعلم الغيب إلا الله، ومرة سمع **ليلى بنت أبي حذيفة**[4] زوج عامر بن ربيعة تقول لابنها هاك تعال أعطيك شيئاً فقال - ﷺ - لها: «ماذا أردت أن تعطيه فقالت: أعطيه تمراً فقال - ﷺ -: أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة».

كما أن تعدد زوجاته - ﷺ - كان من أسبابه وحكمته تربية الأمة وضرب المثل الصالح في معاشرة النساء بالمعروف والعدل بينهن فقد كان- ﷺ - يربي

---

(1) الطبقات ج3: 399.

(2) الطبقات ج3: 398.

(3) نساء الصحابة 333، أعلام النساء ج1: 442، سير أعلام النبلاء ج3: 198، الإصابة ج4: 301، البخاري ج7: 229، نساء من عصر النبوة ـ أحمد خليل جمعة ـ ص149، الترمذي مجلد 3 ص399.

(4) أعلام النساء ج4: 302، نساء الصحابة 257. ابن ماجة ج1، ص 611.

زوجاته التربية السليمة ويعلم الرجال من خلال ذلك الطريقة السليمة في تربية نسائهم فمثلاً عندما اجتمعت نساء النبي - ﷺ - وأردن زيادة النفقة وكررن الشكوى من قلة النفقة وخشونة العيش عندما رأينا السعة والرخاء فراجعن النبي - ﷺ - في أمر النفقة وزينة الحياة الدنيا، وبلغ الأسى به - ﷺ - مداه لأنه لا يريد هذا الطريق ولا يريده لزوجاته اللاتي يعشن في كنف النبوة والرسالة[1] فهجرهن وهددهن بالطلاق إن لم يثبْنَ إلى رشدهن، ونزل القرآن ليؤكد قول الرسول - ﷺ - في قوله - تعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] فاخترن جميعهن الله ورسوله - ﷺ - وتنازلن عن طلبهن إرادة منهن لرضاء الله ورسوله وطمعاً في الآخرة ورضين بالتقشف والاكتفاء بالكفاف في هذه الحياة الفانية وعفا عنهن - ﷺ - وبهذا لم تكن حياته - ﷺ - معهن حياة الترف والرفاهية والتوسع في المطاعم والمشارب بل كانت حياة زهد وتقشف وقناعة لا يطيقها كبار الزهاد، وبهذا تركن أثراً حسناً في حياة سائر نساء المسلمين، وأصبحن أسوة حسنة لمن كانت ترجو الله واليوم الآخر من نساء المسلمين. كما أنَّ حادثة الإفك وكيف تصرف فيها - ﷺ - كانت تعليماً لجميع المسلمين كيفية التصرف في مواقف مماثلة، تعلم المسلمون منه في ذلك الرحمة بالزوجات والتأكد من الأمر، الصبر وعدم النطق بالكلام الجارح رغم قسوة الموقف وعدم التعجل في الأمر، وتعليمهم الصبر على المحن والابتلاء حتى في الشرف، وبالنسبة للمرأة الثقة بالله والصبر الجميل عندما تكون متأكدة

---

(1) موقف الرسول الكريم - ﷺ - من المال والمرأة - د. علي الشعيبي ص190.

(2) الأحزاب آية 28 - 29.

من براءتها، وتعليم المسلمين عدم الخوض في أعراض الناس ومسك الألسنة عن ذلك، بل جعل الإسلام عقاباً شرعياً لمن يقذف المحصنات الغافلات. وأيضاً محنة الإفك جاءت منطوية على حكمة إلهية اتجهت إلى إبراز شخصيته - ﷺ - وإظهارها مميزة عن كل ما قد يلتبس بها لقد فاجأت هذه الشائعة سمعه - ﷺ - فاستقبلها كما يستقبل أي بشر ليس له اطلاع على غيب مكنون فاضطرب كما يضطربون وشك ما يشكون وأخذ يقلب الرأي ويستخدم في ذلك مشورة أولي الأمر أي من أصحابه وكان من مقتضى الحكمة الإلهية أن يتأخر الوحي كي تتجلى للناس حقيقتان أولاً أنَّه لم يخرج بنبوته ورسالته عن كونه بشراً فلا ينبغي لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية فينسب إليه من الأمور أو التأثير في الأشياء ما لا يجوز نسبته إلا لله وثانياً أنَّ الوحي الإلهي ليس شعوراً نفسياً ينبثق من كيانه كما أنه ليس شيئاً خاضعاً لإراداته إذ لو كان كذلك لكان من السهل عليه أن ينهي هذه المشكلة من يوم ميلادها ولكنه لم يفعل لأنه لا يملك ذلك وهكذا فقد انطوت قصة الإفك على حكمة إلهية استهدفت تثبيت العقيدة الإسلامية ورد ما قد يعرض من شبهة عليها[1]. كما أن الحكمة من الإفك تلك التهمة الشنيعة التي اتهمت بها عائشة أم المؤمنين وهي بعيدة عنها بعد السماء عن الأرض التي نزل فيها الحكم ببراءتها بآيات ستظل تتلى إلى يوم القيامة كانت درساً ألقاه الله علينا في شخص أكمل امرأة وأفضلها ليبتعد النساء عن مواطن الشبهات ولو كن نقيات تقيات وليعرفن أنه إذا اتهمت عائشة أم المؤمنين فليس في الدنيا امرأة هي فوق التهم[2]. كما أنه - ﷺ - يعلم المسلمين أحياناً بكونِ الطلاق أداة

---

(1) فقه السيرة ـ محمد البوطي ـ ص212.

(2) رجال من التاريخ ـ علي الطنطاوي ص 25.

لإصلاح زوجة بها شدة وحدة أو تفشي ما يأمرها الزوج بكتمانه كما حدث مع حفصة بنت عمر زوجه - ﷺ - حينما أمرها بكتمان سر أخبرها به فأخبرت به صديقتها عائشة بنت أبي بكر الصديق وعندما علم النبي- ﷺ - بذلك طلقها طلقة واحدة ثم راجعها بعد أن استفادت من تلك التجربة واستغفرت ربها، كما أنه - ﷺ - نهى من يفاخر بذكر ما يكون بينه وبين زوجته في خلوتهما[1]، ففي الحديث «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها» وبهذا يتعلم المسلمون المسلك الصحيح في التخلق بالآداب الإسلامية السامية حيث يجب على الزوجين ألا يفشيا أسرارهما الخاصة حتى تدوم الثقة والمودة بينهما، وبهذا وغيرها من المواقف ضرب الرسول - ﷺ - المثل الأعلى في معاملة الزوجات، ثم إنَّ كل ما حدث في بيت النبوة من مواقف وأحداث كانت لتعليم الأمة الإسلامية من نساء ورجال كيفية التصرف في مواقف مماثلة.

وأيضاً علم الرسول- ﷺ - المسلمات الرحمة والعطف فقد قال - ﷺ - «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» فهذا الحديث يحمل معاني عميقة وسامية رفيعة من يستطيع أن يصل إلى هذه الدرجة من الحب السامي الرفيع ولكنه - ﷺ - قد وصل وتحلى بهذا الوصف الرفيع فقد أحب ربه وأحب كل ما يوصله إلى رضاء الله فالحب أوسع وأشمل عنده من قاصري البصر والبصائر الذين لا يعرفون من الحياة إلا حب الشهوة وحب النفس والأنانية المطلقة ولهذا يصعب عليهم أن يتصوروا حب الرسول- ﷺ - فأخطؤوا وحادوا عن طريق الصواب، فقد أحب - ﷺ - الله حباً رفيعاً صافياً حتى إنَّه في أحرج الأوقات وهو مضطهد قد آذاه أهل الطائف وهو يدعوهم

---

(1) صحيح مسلم ج4: 157.

إلى عبادة الله الواحد الأحد مع كل ما لقيه منهم من إيذاء وتكذيب فإنه لم يدعُ عليهم بل قال وهو يناجي ربه «إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي....» فإنه - ﷺ - لم يقل عافيتك أحب لي بل قال عافيتك أوسع لي ذلك أن المحب الصادق لا يختار لنفسه ولا يجنح عن إرادة المحبوب واختياره وهو لا يحب بنفسه ولا يحب لنفسه إنما حبه لربه خفقة من خفقات الإرادة الإلهية وحدها[1].

وعندما مات ابنه إبراهيم وكان في عمر الزهور وقد بلغ الرسول - ﷺ - الستين من عمره ماذا قال في ذلك الموقف المحزن إنه قال - ﷺ - «يا إبراهيم إنا عليك لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب»[2] وطوى جرحه في قلبه الكبير صابراً مستسلماً لقضاء الله معلّماً للمسلمين والمسلمات ما يقولون ويفعلون في مواقف مماثلة، وكانت له- ﷺ - مواقف كثيرة ظهر فيها حبه الكبير لربه وحرصه الشديد على رضاه، وإنه- ﷺ - تعتريه حالات من الصفاء النفسي لا يسعه فيها إلا الله فقد دخلت عليه عائشة يوماً وهو في حالة من الحب الإلهي السامي لا يعرف فيها حتى نفسه فلما رآها سألها من أنتِ؟ قالت: عائشة فسألها ومن عائشة؟ فقالت بنت أبي بكر الصديق فسألها ومن الصديق؟ فكان الجواب حمو محمد ﷺ فسألها ومن محمد؟ فلزمت الصمت لأنها علمت أن النبي - ﷺ - في حالة استغرقه فيها الوجد والحب لرب العالمين، فإنه يصل عليه الصلاة والسلام في بعض الحالات لا يكون في قلبه مكان لحب الحياة ومتاعها من نساء وغيرها، فهذه عائشة وما قالوه فيها

---

(1) إنسانيات سيدنا محمد - ﷺ - ص20، خاتم النبيين ـ أبو زهرة ـ ج1: 549، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ابن الربيع الشيباني الشافعي ج1: 342.

(2) الاستيعاب ج1: 56، كتب السيرة.

من حب الرسول- ﷺ - لها لم يلتفت إليها في حالة وجده وحبه لله رب العالمين.

أما حبه - ﷺ - للفرائض فقد كان حباً جارفاً، فقد كان يحب الصلاة حبّاً قويّاً حتى إنَّهُ قال - ﷺ - «وجعلت قرة عيني في الصلاة» الصلاة التي فيها اللقاء برب العالمين ومناجاته تلك قرة عينه وبهجة فؤاده حتى يقول - ﷺ - لمؤذنه بلال إذا جاء ميعادها: أرحنا بها يا بلال، إن الراحة كل الراحة يجدها في الصلاة وهذا هو الفرق بين الحب والواجب، فالواجب قد يؤدّى عن كره أما الحب فيأخذ طريقه إلى أشق الأمور في ابتهاج وغبطة ولهذا كان كلما حزبه أمر فزع للصلاة، هذا هو حب الرسول - ﷺ - لربه وفرائضه حبّاً نابعاً من الله وعائداً إليه، وأما حبه لزوجاته - ﷺ - فكان حبّاً سامياً رفيعاً يتفاوت بتفاوت جهودهن في خدمة الرسالة الإسلامية وتوصيل السنة العملية والقولية والتقريرية للصحابة عامة والنساء خاصة، وخاصة فيما يتعلق بالأمور النسائية في الشريعة الإسلامية، هذا هو حبه لزوجاته وليس الحب الذي يتغنى به أعداء الإسلام ومن سار على نهجهم من المنافقين، أما قوله - ﷺ - «حبب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1] فالحب عند الرسول- ﷺ - ليس حب شهوة ولا غرض دنيوي حاشاه - ﷺ - لكنه طبيعة وفطرة، فهو أحب الله وأحب الناس وأحب كل شيء في كون الله الرحيب، فقلبه مفعم بالحب لخالق الكون ومبدعه[2] ثم إنَّ حبه للنساء عامة المذكور في الحديث السابق كان لأسباب كثيرة منها لأنهن كن مضطهدات في الجاهلية حتى كانت بعض القبائل تدفن بناتها أحياءً دون رحمة أو شفقة، ومنها أنَّ من النساء أمهات

---

(1) سنن النسائي شرح السيوطي ج7: 62.

(2) إنسانيات سيدنا محمد- ﷺ - ص117.

الأنبياء والرسل والأبطال وقد ذكر بعضهن في القرآن كما في أم سيدنا موسى عليه السلام ومريم بنت عمران وغيرهن بالإضافة إلى ذلك فإنه - ﷺ - عظم النساء لأنهن أساس تكوين الأسرة وتربية الرجال فخصهن بجزء من حبه الحب الكبير، هذا ما اخترت من معاني الحديث التي ذكرت في الكتب وقد يكون للحديث معانٍ أخرى سامية رفيعة لم تصل إليها عقولنا القاصرة التي لم ولن تفكر إلا في حب الأنانية والشهوة الدنيوية، وبهذا نرى أن حبه - ﷺ - لجميع الناس جعله مسؤولاً عن مصائرهم وقد أجمل مسؤولية حبه العظيم فقال «والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا»[1].

أما حبه للطيب فقد قال - ﷺ - «أربعة من سنن المرسلين التعطر والحياء والنكاح والسواك»[2] وأيضاً ذكر الطيب إرشاداً للصحابة لاستعماله في صلواتهم حتى لا تصدر منهم رائحة كريهة أثناء صلاتهم يتأذى منها المصلون، أما الحب الأكبر المختص بذاته في مشاهدة مولاه ومناجاته فهو الصلاة ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين وقال - ﷺ - «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[3]، كما علم الجميع كيفية التعامل بالمحبة والعطف والرحمة ومن مواقفه في ذلك، فمثلاً عندما كانت **سفانة بنت حاتم الطائي**[4] مع السبايا ومر - ﷺ - عليهن قامت إليه أخت عدي فقالت: هلك الوالد وغاب الوافد فامنُنْ علي من الله عليك، فقال - ﷺ -: «من وافدك قالت عدي بن حاتم فقال:

---

(1) النسائي شرح السيوطي ج7: 64.

(2) النسائي شرح السيوطي ج7: 64.

(3) الشفاء ـ القاضي عياظ ـ ص89.

(4) تاريخ دمشق - تراجم النساء ص142.

الفار من الله ورسوله، ثم كساها وأعطاها نفقة وسمح لها بالخروج إلى أخيها فجعلت تحبب لأخيها الإسلام حتى جاء فأسلم وأسلمت معه [1].

والشيماء بنة حليمة السعدية أخته - ﷺ - من الرضاعة التي كانت بين سبايا هوازن خيرها بين أن تبقى معه أو ترجع إلى قومها بعد أن أسلمت فاختارت الرجوع فأرجعها معززة مكرمة.

وحليمة السعدية[2] بنت أبي ذؤيب أمه - ﷺ - من الرضاعة جاءت إلى المدينة فقام لها وبسط رداءه فجلست عليه وأكرمها ولم يتخلَّ عنها أبداً، كما أنه - ﷺ - كان يعامل أم زمز السوداء التي كانت تأتيهم أيام خديجة فكان يكرمها ويحسن إليها[3].

وكان - ﷺ - شديد العطف والإحسان إلى الأيتام وذوي الرحم ومن ذلك عطفه على **أمامة بنت الربيع**[4] ابنة زينب التي ماتت أمها يوم بدر كما ذكر سابقاً وأيضاً **أمامة بنت حمزة**[5] الذي استشهد أبوها يوم أحد.

ومن رحمته أن **فاطمة** ابنته عندما ماتت أختها رقية أخذت تبكي فجعل الرسول - ﷺ - يمسح الدمع[6] عن عينها بطرف ثوبه كما أنه - ﷺ - بكى لموت ابنته أم كلثوم ولغيرها رحمة وحزناً ولا عجب من ذلك فقد أرسل رحمة للعالمين، كما أنه - ﷺ - عفا عن **هند بنت عتبة بن ربيعة** التي مثلت بعمه حمزة

---

(1) أعيان النساء ص82، الدرر المنثور ص244.

(2) الإصابة ج4: 274، مرآة الجنان ج1: 339، أسد الغابة ج7: 68، العبر في خبر من غبر ـ الذهبي ـ ج1: 13، تهذيب الأسماء واللغات ـ محي الدين النوري ـ ج1: 339.

(3) موسوعة الرجال ج4: 479.

(4) أعيان النساء 43.

(5) الدرر ص65.

(6) الطبقات ج8: 37 ـ 78.

يوم أحد فعندما جاءت مبايعة بايعها وأسلمت وعفا عنها لأنَّ من صفاته سماحة النفس والعفو عند المقدرة، وهو قدوة للمسلمين والمسلمات في جميع تصرفاته، أما حدود الله فلا يعفو عمن يتعداها من نساء أو رجال، ومن ذلك قصة المرأة المخزومية التي سرقت فطلب أهلها من أسامة بن زيد أن يشفع لها عند الرسول - ﷺ -[1] وعندما سمع - ﷺ - كلام أسامة تغير وجهه وأجاب أسامة: أتكلمني في حد من حدود الله يا أسامة، ثم يقوم - ﷺ - فيقول: «إنما أهلكَ الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وهكذا نرى العدل الإسلامي المتمثل في شخصه - ﷺ -، فهذه هند آكلةُ الكبود الزكية والمخزومية سارقة المتاع تقفان أمام القاضي العادل فيثور لمجرد محاولة طلب العفو عن السارقة لأنه لا يملك أن يتسامح معها في الأنظمة والتشريعات السماوية التي شرعت لحماية المجتمع وإرساخ العدالة والأمن، وعفا عن التي مثلت بعمه لأنه أمر يخصه شخصياً، وهذا مثل أعلى في الأخلاق العالية وتعليم للأمة الإسلامية كيفية التصرف في مواقف مماثلة، فعن عائشة قالت «بعد أن أسلمت هند وحسن أسلامها قالت ما كان على وجه الأرض أخباء أو خباء أحب إليّ أن يذلوا من أخبائك ثم أصبح اليوم ما على ظهر الأرض أخباء أو خباء أحب إليّ من أن يعزوا من أهل أخبائك»[2] فمعاملة الرسول - ﷺ - الحسنة لجميع الناس جعلته محبوباً حتى عند ألدِّ أعدائه بعد أن دخلوا في الإسلام مثل هند. فعن عائشة قالت «ما خير الرسول

---

(1) أعلام النساء ج4: 78، الإصابة ج4: 380. الإصابة، الطباقات ج8 ص 263.

(2) خاتم النبيين أبو زهرة ج2 ص 237.

- ﷺ - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه وما انتقم الرسول - ﷺ - لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»[1]، وكان - ﷺ - يتخول المسلمين والمسلمات بالموعظة في الأيام كراهة السآمة وقال: «يسّروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[2].

وبهذا نرى كيف كان - ﷺ - يتصرف في تعليم المسلمين عامة والنساء خاصة وكيف كان يوجههم ويرشدهم إلى المبادئ الإسلامية والأخلاق الحميدة بطريقة عملية وقولية وتقريرية.

حق المرأة في العمل ومواقف الرسول - ﷺ - من ذلك:

الوضع الطبيعي للمرأة في الميزان الرباني أنها مكفولة يجب الإنفاق عليها من قبل الأب أو الزوج أو الأخ...، بعكس المرأة في الغرب التي فرض عليها العمل خارج البيت حتى تنفق على نفسها بالإضافة إلى العمل الطبيعي(الحمل والرضاعة والتنشئة).

فالمرأة في الإسلام عندما تدرك أن مهمتها راقية في الحياة ووظيفتها مقدسة محترمة يتوقف عليها بناء الأمة والأجيال[3] عند ذلك لا تشعر بأنها أقل من الرجل فلا تتمسك بالعمل إلا عندما تضطرها الظروف وشؤون المعيشة والحياة للعمل، ولقد أعطى الإسلام المرأة حق العمل وحق الخروج من البيت لقضاء حوائجها والتعلم والعمل عند الحاجة، فقد كانت المرأة تخرج إلى الشوارع والأسواق تبيع وتشتري وتخرج إلى ميادين القتال وكذلك تخرج من

---

(1) البخاري بشرح الكرماني ج14: 144.

(2) البخاري بحاشية السندي ج1: 24.

(3) حقوق الإنسان في الإسلام ـ د. محمد الزحيلي ـ ص218، المرأة المسلمة المعاصرة د. محمد عبد الله ـ ص378.

العتمة الأولى إلى المساجد تصلي وتعود، كما أنها كانت مسؤولة عن الحسبة في الأسواق تحاسب الباعة والغشاشين وتراقب حركة العمل التجاري، وتخرج إلى المزارع تسقي وتزرع وتقطف التمر، ومنهن من تعمل بالنسيج والخياطة والدباغة وكن يطالبن بالمزيد من فرص التعليم ويستدركن عن العلماء أخطاءهم ولكن معظم الأوقات يبقين في بيوتهن ويقمن بالمهمة الأساسية تربية الأولاد والاعتناء بالزوج[1] قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾[2]، وهذا الحكم وإن نزل خاصّاً فالمعنى عام لجميع النساء حيث وجب عليهن اتباع نساء النبي - ﷺ - في كل ما يأمر به الله لأنهن القدوة الحسنة لنا جميعاً، ولا ينبغي قصر حكم آيات الحجاب على نسائه فقط بعد أن أوضح الله أن الحكمة من هذا الحكم وغيره أن الحجاب أطهر لقلوبهم وقلوبهن والنساء المؤمنات تبع لهن في هذا فإن كان الحجاب أطهر لهن وهن منهن في طهرهن وعفتهن، فإذا كان بالرغم من كل هذا قد فرض عليهن الحجاب فإنه من باب أولى وأطهر لقلوبنا لأننا لم نصل إلى ما وصلت إليه أمهات المؤمنين من الطهر والعفة، ومن خلال كتب التفاسير[3] لهذه الآية نعلم أن المراد بالأمر ملازمة البيوت في أغلب الأوقات ولا يكن خراجات طوافات في الطرق والأسواق والبيوت كما أن الأمر بالاستقرار في البيت لم يكن مطلقاً وإنما فيه إيماءة لطيفة أن يكون البيت هو الأصل في حياة النساء وما عداه استثناء طارئ في مراحل في حياة المرأة ولقضاء الحاجة فالبيت هو مثابة المرأة

---

(1) موقف الرسول ﷺ من المال والمرأة ـ د. علي العشيبي ص26.

(2) سورة الأحزاب آية 33.

(3) تفسير الجصاص ج3: 359، تفسير ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ مج6 ج28: 605، تفسير القرطبي، تفسير التحرير والتنوير.

التي تجد فيه نفسها ولهذا أوجب الله على الرجل النفقة وجعلها فريضة كي يتاح للأم من الوقت وهدوء البال ما تشرف به على الفراخ الزغب فطفولة الإنسان طويلة تحتاج لحضانة الأم ورعايتها والأم سيدة هذه الفترة التي تتكون فيها القيم والمبادئ فإذا أدت المرأة مهمتها في هذه المدة بأمانة فإنها لا تجد للعمل خارج البيت وقتاً، فعمل المرأة داخل بيتها لا يعد تقليلاً من شأنها ولكنه تكريم لمهمة أساسية في المجتمع وهي تنشئة الأبناء بعيداً عن ويلات افتقار الأم في زحام العمل وقد أثبت علم النفس أن حنان الأم يعطي الأبناء ثقة بالنفس[1]. وخاصة الأطفال في بدايةِ حياتهم.

فالأم المكدودة بالعمل خارج البيت[2] المقيدة بمواعيد تعود مرهقة وتستقبل في البيت زوجاً مرهقاً وأطفالاً مشتتين فتعانى من عذابات كثيرة منها عدم الانسجام مع الزوج وعدم القدرة على تربية الأطفال ولا تستطيع أن تهب للبيت جوه وعطره واستقراره ولهذا وضع الإسلام الأسس التي تسير عليها حياة الأسر إذا اضطرت المرأة للخروج للعمل فعلى المجتمع أن يوفر لها الضمانات التي تحقق لها عملاً آمناً يصون كرامتها ويحفظ هيبتها ويوافق تكوينها حتى لا تكون في العمل مشغولة بالأسرة وفي الأسرة مشغولة بالعمل مما يفقد المرأة استقرارها النفسي الذي ينعكس على البيت.

وبعد الأمر بالقرار في البيت والخروج للضرورة التي تقدر بقدرها أمر تعالى بعدم التبرج تبرج الجاهلية[3] عند الخروج من البيت، وقيل الجاهلية ليست فترة معينة من الزمان إنما هي حالة اجتماعية يمكن أن توجد في أي زمان

---

(1) الفتاوي للشعراوي ص671.

(2) الفتاوي للشعراوي ص902.

(3) انظر تفسير ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ مج6: ج22: 605.

وأي مكان، فتكون دليلاً على الجاهلية حيث كانت، وبهذا إننا نعيش الآن في جاهلية عمياء غليظة الحس حيوانية التصور، فالإسلام لم يمنع المرأة من الخروج لقضاء حوائجها[1] من تلقي العلم والاتجار والتكسب والعمل الشريف المناسب، ولكنه نهاها عن الخروج متبرجة بزينتها والهدف من ذلك اتقاء الإغراء والفتنة، وحتى يفرق بين العفيفات وغيرهن، فالقرآن يوجب على المؤمنات الطاهرات لباساً ومظهراً وتصرفاً خاصاً يميزهن به عن غيرهن اللاتي لا يردن يد لامس، وبذلك يؤثر اللباس الداخلي التقوى على اللباس الخارجي ويميز الملتزمة من غيرها، وهذا اللباس الشامل لا يعوق حركة المرأة ولا يمنعها من العمل والتعلم حتى في حالة تغطية الوجه، ولهذا لابد من توفير المناخ الملائم حتى تؤدي المرأة دورها كما يجب عند خروجها من بيتها للتعليم أو العمل أو لقضاء ما تحتاج إليه.

وعند خروج المرأة للحاجة يجب أن تخرج بإذن الزوج غير متبرجة ولا متعطرة ولا تظهر زينتها بالصوت والحركة كما ذكر الله في سورة النور وسورة الأحزاب، ولا تختلط بالرجال[2] ولا تسافر إلا ومعها ذو محرم فالمرأة إذا أرادت الخروج من البيت لقضاء حوائجها فعليها أن تلتزم بضوابط وآداب الشريعة، لأن الرجل بطبعه ميال للمرأة راغب في النظر إليها والتمتع بجمالها، لهذا شرع الله لها من الأحكام[3] ما يصونها عن أعين الناظرين إليها الطامعين فيها، لهذا عليها الالتزام بتلك الضوابط لا تظهر زينتها خارج بيتها إلا ما ظهر منها والتي في معظم التفاسير هي الوجه والكفان، والتي أمرت بعدم ظهورها الجسد كله

---

(1) انظر المرأة في القرآن والسنة ـ محمد دروزة ـ ص265.

(2) انظر المرأة المسلمة المعاصرة ـ د. أحمد بن حمد ـ ص67.

(3) انظر المرأة من خلال الآيات القرآنية ـ عصمة الدين السهيلة ـ ص228.

وما تتزين به فالثوب يجب أن يكون فضفاضاً كثيفاً لا ضيقاً يصف العورة ويظهر مفاتن الجسم ولا يكون زينة في نفسه أو مبهرَجاً ذا ألوان جذابة معطراً يلفت النظار، وأن لا يكون قصيراً فالرسول - ﷺ - رخص للنساء[1] أن يرخين أطراف ثيابهن شبراً تحت الكعبين، ولكن حرص النساء في ذلك العهد على الستر والخوف من التكشف عند الحركة والمشي فقالت أم سلمة إذن تنكشف أقدامهن عند الحركة فقال - ﷺ -: «فيرخين ذراعاً..»[2] وهذا يدل على ما كانت عليه المرأة المسلمة من حرص على سترها وعفتها، ولكن الطامة الكبرى أن هناك من فهم نص الحديث فهماً خاطئاً وذلك أن بعض النساء يلبسن معاطف قصيرة حتى منتصف الساق أو فوقه قليلاً نحو الركبة يلبسنَها عن تدين ويفهمن من قوله - عليه الصلاة والسلام - «يرخين شبراً» أن يقصر على الكعبين شبراً أو ذراعاً إلى أعلى، وهذا فهم عجيب[3]؛ كيف يكون الإرخاء إلى أعلى ثم كيف يكون هذا الإرخاء مانعاً لكشف الأقدام ثم أم سلمة تسأل عن ذيول النساء فهل هذا التقصير يسمى ذيلاً، ومن أقواله - ﷺ - في لباس النساء الممنوعة «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخث المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[4] فقد أخبر - عليه الصلاة والسلام - عن أحوال للمرأة لم تكن في عهده، وهذا من علامات النبوة، حيث وصف صورة نراها اليوم في النساء فنصدق ما قال فيها وندرك أنها من علامات صدقه ونبوته وأنَّه انتقل من علم اليقين إلى

---

(1) انظر الهدي النبوي للمرأة المسلمة ـ د. محمد عويضة ـ ص148.

(2) سنن أبي داود ج4: 365.

(3) انظر الهدى النبوي للمرأة المسلمة ـ د. محمد عويضة ـ ص 153.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي ج14: 110.

عين وحق اليقين وهاهن النساء يرتدين ملابس يكن معها لا عاريات ولا لابسات يتفنن في الإثارة باللباس وفوق ذلك كله فإنهن يتمايلن في مشيتهن وحركاتهن ثم يرفعن شعورهن فوق رؤوسهن كأسنمة النوق فيمارسن مجموعة من المثيرات، ولهذا كان لهن الوعيد الشديد كما ذكر الرسول - ﷺ -.

وأيضاً من أقواله - ﷺ - «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء.. وقال أخرجوهم من بيوتكم»[1].

وأيضاً قوله - عليه الصلاة والسلام - «لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء»[2] والنهي عن التشبه بالرجال ليس في أمور الخير وفعل الطاعات إنما ينهاهن عن التشبه[3] بهم في الزى وبعض الصفات والحركات والحكمة في لعنهن من التشبُّه إخراجهن الشيء عن الصفة التي وضعها عليه الحكيم العليم، ومن الحديث «بينما الرسول - ﷺ - جالس في المسجد إذ دخلت امرأة ترفل في زينة لها فقال: يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فإن بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة والتبختر»[4]، وقوله - ﷺ - «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله»[5] وفي رواية أخرى..... «ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة»[6].

---

(1) سنن الدارمي تحقيق سليم أسد الداراني ج3: 1733.

(2) سنن أبي داود ج4: 355 دار الحديث سورية، صحيح البخاري ج7: 205.

(3) انظر الإسلام والمرأة ـ إبراهيم النشار ـ ص73.

(4) سنن ابن ماجة ج2: 1325.

(5) أبو داود ج4: 374.

(6) صحيح البخاري ج7: 195.

أما لبس الحرير فإن اختالت المرأة في الحرير[1] حرم عليها لأنه - ﷺ - نهى عن المخيلة في الملبس فلبس الحرير جائز للنساء ولكن يجب التواضع في اللباس وعدم الاختيال فيه، والحديث في معنى الحرير في[2]، وأيضاً قوله - ﷺ -: «أيما امرأة تحلى ذهباً تظهره إلا عذبت به...»[3] ولهذا يجب إخفاء الحلي حتى لا تكون السبب في إلفات النظر ببريقها وأصواتها فالمشية التي فيها تكسر وتغنج وتبختر[4] وأصوات الحلي وبريقها كل ذلك منهي عنه لأنه يؤدي إلى الفتنة، وأيضاً عدم التشبه بالكفار لقوله- ﷺ - «من تشبه بقوم فهو منهم»[5] فالتشبه بالكافرات منهي عنه في اللباس وفي كافة الأمور حتى يكون للمسلمة ما يميزها عن غيرها.

وأيضاً لا يكون الثوب معطراً فيه إثارة للرجال لقوله - ﷺ - «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»[6] وقال أيضاً - عليه الصلاة والسلام - «إذا خرجت المرأة إلى المسجد فلتغتسل من الطيب كما تغتسل من الجنابة»، وقال - ﷺ - «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة» وعن أبي هريرة لقي امرأة متطيبة تريد المسجد فقال لها: فإني سمعت الرسول - ﷺ - يقول: «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل»[7].

---

(1) انظر كتاب اللباس والزينة من السنة المطهرة ـ محمد عبد الحليم القاضي ـ ص436.

(2) سنن النسائي ج8: 206.

(3) سنن النسائي ج8: 157، سنن الدارمي ج3: 1729.

(4) انظر موسوعة المرأة المسلمة ص74.

(5) سنن أبي داود ج4: 314.

(6) سنن النسائي ج8: 153.

(7) سنن ابن ماجة ج2: 1326.

كل ذلك لإبعادِ النساء والرجال عن الفتنة وأخذ الاحتياط اللازم حتى إنَّ أم سلمة قالت كان الرسول - ﷺ - إذا سلم من الصلاة قام النساء حين يقضي تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيراً قبل أن يقوم قالت نرى والله أعلم أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال[1].

أما حكم المغيرات لخلق الله فقد ورد فيه الوعيد الشديد لأنه خداع وغش فقال - ﷺ - «لعن الله الواشمات المستوشمات النامصات المتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله»[2] وقد حدث هذا في عهده - ﷺ - أن فتاة مرضت فتمعط شعرها وعند زواجها أرادوا أن يصلوها بشعر فسألوه فقال - ﷺ - «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة....»[3].

وبذلك يكون من يغير خلق الله فإنما هو متبع الشيطان وما نشاهده اليوم ونسمع به من عمليات التجميل التي تغير شكل العينين أو الأنف والفم وغير ذلك من صرعات الغرب التي لا تقف عند حد تجعلنا ندرك القيمة العظيمة لهذا التوجيه الإسلامي[4] في قوله - ﷺ - «للحسن» تقييد لعموم هذا اللفظ أي فيمن يغيرن خلق الله بقصد الحسن، أما إذا كان لسبب آخر كالطب والعلاج وإزالة الآلام فلا يندرج تحت هذا الحكم.

ولهذا يجب على المرأة أن لا تغير في الخلقة التي خلقها الله عليها وتهتم بما هو أهم من ذلك من القيام بالأعمال بإتقان وإخلاص، كما أنَّ الاهتمام بالزينة ومحاولة إبدائها يكبل المرأة ويسبب لها القلق والهم والتوتر الدائم والخوف من

---

(1) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج2: 409.

(2) أبو داود ج1: 397.

(3) البخاري ج7: 212، مسلم بشرح النووي ج14: 102.

(4) انظر الهدى النبوي للمرأة المسلمة ـ د. محمد عويضة ـ ص161

أن تظهر بزينة ناقصة، واللباس الإسلامي الشامل يجعلها تحصر الاهتمام بالتجميل في أوقات معينة وظروف معينة[1]، وأيضاً المرأة المتبرجة في الأعمال بين الرجال تشغلهم عن أعمالهم وتكون سبباً في قلة العمل، ولهذا يجب على المرأة أن تلتزم بالكتاب والسنة فإنها إن سلمت في نفسها لم يسلم الناس منها فإذا خيف من المرأة فتنة نهيت عن الخروج، فالله لم يخاطب باللباس الإسلامي إلا المؤمنات وفي هذا تشريف لهن فالحجاب تشريف وتكريم وصيانة وحماية للأسرة والمجتمع قبل المرأة، ولكن اللباس وحده لا يؤدي إلى الحشمة والحياء والعفاف[2] فلا بد أن يعمر قلب المرأة الإيمان وتكون التربية إسلامية صحيحة، وعندها يحقق اللباس وظيفته فتكون المرأة قادرة على مواجهة الفتن[3] وتحرص على كل فضيلة تزيد صلتها بالله وبذلك تتحرر المرأة من قيد النفس، والإعراض عن الشيطان وأعوانه وتتحجب عن عيون ضالة تبحث عمن خلون من الحياء[4] والتبسن بالتبجح المصبوغ، تلك الأصباغ التي تحط عليها حشرات الرذيلة وتنفر منها فراشات الفضيلة، وبهذا يكون الحجاب امتثالاً لأوامر الله ورسوله - عليه الصلاة والسلام - فالإسلام يريد للرجال والنساء المسلمين نفساً مطمئنة[5] وأعصاباً سليمة ونظراً وسمعاً طاهرين.

وبهذا نرى أنَّ اللباس الإسلامي الذي يشكو منه من لا خلاق له ولا كرامة هو الذي يصون المرأة عن التبذل وعن امتهانها في أعين الرجال، فالمتحجبة الملتزمة هي التي تعلو في العيون وهي التي يريدها الرجال أمّاً

---

(1) انظر موسوعة المرأة المسلمة ـ د. عوض محمد ـ ص50.

(2) انظر تأملات في قضايا المرأة المسلمة ـ د. الزيادي ـ ص58.

(3) انظر موسوعة المرأة المسلمة ـ د. عوض محمد ـ ص10.

(4) انظر دستور المسلم والمسلمة في القرآن ـ محمد حسن ـ تقديم الشعراوي ص124.

(5) انظر المرأة بين الشريعة والقانون ـ السيد إسماعيل سليمان ـ ص122

لأولادهم وسكناً لنفوسهم، فإن حلية المرأة عفتها وزينتها كرامتها وتصونها[1] فالاحتشام مبعث الهيبة لها وحسن القالة فيها وعليه تنشأ الفتاة الفاضلة، كما أنَّ الحجاب يتناسب مع خلق الغيرة المحمودة التي يتمتع بها المجتمع المسلم وتعتبر من مكارم الأخلاق، والغيرة أن يحمي الرجل زوجته وبناته وأخواته أن يراهن غير محرم من غير ضرورة، وعكسه الديوث الذي لا يغار على أهله، كما أنَّ الحجاب حضارة وارتقاء[2] فالتبرج عنوان التخلف والانحطاط أما الستر فهو من التسامي بقيمة الإنسان إلى مستوى الحضارة بمفهومها الإسلامي النقي، ومن فوائده من الناحية الاجتماعية أيضاً تعظيم المجتمع لحرمات الله بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه وهو صيانة للأعراض من التهتك، ويجعل المرأة تحافظ على عرضها من أن تشوبه شائبة، وأيضاً المحافظة على النسل فالاختلاط والخلوات مع التبرج يؤديان إلى الرذائل[3] التي تكون نتيجتها انهيار أسس الأسرة ويتحمل هذه المصيبة الأبناء بالإضافة إلى ازدياد الأبناء غير الشرعيين، ومن الأبعاد الصحية والطبية للباس الإسلامي فهو قناع واقٍ للمرأة من انتقال الأمراض إليها فالنقاب بالنسبة إليها بمثابة الكمامة تحميها من الأمراض المعدية، والقفاز يحميها من انتقال الأمراض عن طريق الملامسة[4] وأيضاً يحمي بشرتها من أشعة الشمس المباشرة ومن الأتربة وأيضاً من أمراض العيون فالتبرج يسبب تفشي الأمراض البدنية والخلقية.

---

(1) انظر المرأة بين الشريعة والقانون ـ السيد إسماعيل سليمان ـ ص119.

(2) انظر موسوعة المرأة المسلمة ص13.

(3) انظر التفسير الأمثل ـ الشيرازي – مج11: 69.

(4) انظر موسوعة المرأة المسلمة ص17.

ومن مساوئ ومثالب التبرج أنه معصية لله ولرسوله - عليه الصلاة والسلام -[1] وهو من الكبائر ويجلب اللعنة والطرد من رحمة الله كما ذكرت سابقاً، وهو فاحشة وتهتك، وهو من سنن اليهود والنصارى والجاهلية المنتنة، كما أنه يؤدي إلى إعراض الشباب عن الزواج بسبب ما تطلبه المتبرجات من كثرة النفقات وأيضاً انعدام الثقة بعفاف الفتيات لخروجهن سافرات متزينات واختلاطهن بالرجال مع سوء الخلق.

وأيضاً التكشف والاختلاط[2] يفتحان الباب أمام الرجل والمرأة في أن يتعرف كل منهما على غير ما يحل له فتحصل النفرة بين الزوجين وقد يصل الأمر إلى الطلاق وتشريد الأطفال، وأيضاً التبرج والتهتك والاختلاء بالرجال يؤدي إلى انتشار الأمراض الفتاكة التي تؤدي إلى الهلاك والكوارث، ولهذا لا بد من اللباس الإسلامي الشرعي والتقوى حتى يبتعد المجتمع عن تلك المآسي وتشعر النساء بالاستقرار والأمن وينتج عن ذلك رضا الرجل بامرأته ورضا المرأة بزوجها وبذلك تسلم الأسرة من المشاكل ويسلم المجتمع من المآسي.

والأمم التي لا عمل لنسائها إلا التبرج وإشاعة الفتنة واستفزاز الغرائز الساكنة فهذه المرأة لا تصلح إلا لعبة عربيد أو محظية لفاتح أو سرية عند غالب[3].

والخلاصة أن المرأة من حقها الخروج للضرورة والعلم والتعلم والعمل ولكن لابد أن تكون بعيدة عن التزين والتعطر وإظهار الحلي وصوتها

---

(1) انظر موسوعة المرأة المسلمة ص21.

(2) انظر مقام المرأة في الإسلام ـ د. محمود بابلي ـ ص154.

(3) ظلام من الغرب ـ محمد الغزالي ـ ص248.

والحركات الفاتنة والكلام الرقيق والتبسط مع الرجال وتجنب الخلوة لأن الشيطان ثالثهما، وما تقوله بعض النساء من أنها شريفة في نفسها ولا يجرؤ أحد أن يمسها بشيء، ولا يضيرها إن خرجت متكشفة أو شبه عارية، إن هذا الظن من وساوس الشيطان ومزاعمه التي تؤدي بها إلى الهاوية لاحتمال خروج الأمر من يدها في ظرف لم تكن تترقبه فالبعد عن أمثال هذه الدواعي والتخلص منها يعتبر نوعاً من الحجاب الذي تقضي به المرأة مصارع السوء ومكايد الشيطان، فمنهج التشريع الإسلامي منهج الوقاية قبل العلاج، والحجاب من باب سد الذرائع لأنه وقاية للجنسين من الوقوع في المفسدة عن طريق التبرج والاختلاط دون ضوابط، لأن العلاقة التي تربط بين الجنسين ولا تراعى فيها للحشمة حدود تكون النتيجة أن تقع الأنثى في شباك هذا الآثم فيفترسها دون خوف أو حياء ثم يلقي بها بعيداً عنه لأنها ليست مناسبة له ويفتش عن غيرها وهكذا.... ثم يصرخ بأعلى صوته إن حجاب المرأة ليس من المدنية في شيء لأن الحجاب يحول دون تحقيق بغيته في أن تكون الأنثى ألعوبة في يده ويد أمثاله ثم يلفظونها لفظ النواة دون رحمة أو شفقة، فالحجاب أو اللباس الإسلامي الخارجي والداخلي للمرأة المسلمة جاء وفرض لينقذ المرأة من براثن أمثال هؤلاء مرضى القلوب والعقول، كما أنَّ اللباس الإسلامي لم يمنع المرأة من التعلم ومن الأخذ بأسباب التقدم وقد تخرجت الكثير من الفتيات المحافظات على لباسهن وأخلاقهن مدرسات وطبيبات وغير ذلك من مجالات العمل المناسبة، والمرأة في صدر الإسلام كانت موضع تقدير ولم يمنعها الحجاب من أن تشارك الرجل في كثير من الأمور في الحياة مع المحافظة على الحشمة والتستر وعلى سمعتها من أن تنهشها الذئاب ولم تنسَ في ذلك المهمة الأساسية في الإنجاب والتربية والتنشئة الصحيحة للأبناء فنجد المرأة في عهده

- ﷺ - شاركت ضمن حدود إمكانياتها في الجهاد ومعالجة الجرحى فهذه **رفيدة الأسلمية**[1] صاحبة الخيمة المشهورة بأنها مستوصف طبي وقيل اسمها كعيبة كانت تداوي الجرحى في الغزوات، وهذه **الشفاء العدوية** التي كانت تمثل المرأة المثقفة فكانت المعلمة الأولى في الإسلام تعلم نساء المسلمين الكتابة والقراءة مع الدعوة إلى الإسلام[2]، كما ذكرت سابقاً.

وكانت النساء في عهده - ﷺ - يقمن بأعمال تناسب قدراتهن، ولم يغلق أمام المرأة أبواب النشاط الاجتماعي والأدبي والسياسي كل حسب قدراتها قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ..... ﴾[3]، فقامت المرأة بالأعمال الشريفة محافظة على شرفها وكرامتها كمزاولة الأعمال اليدوية من غزل الخيوط والزراعة وبعض الصناعات اليدوية.

فهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق كانت تقوم بأعمال المنزل كلها كما أنها كانت تحمل النوى على رأسها[4] خدمة لزوجها تعلف به فرسه تدقه له وتسقيه الماء، **وهذه السيدة زينب** أم المؤمنين كانت تعمل بيدها وتتصدق بما يباع من إنتاجها، **وفاطمة بنت أسد**[5] أم علي بن أبي طالب قال لها علي: كفي تكفيكِ سقاية الماء من الخارج وتكفيك فاطمة من الداخل الطحن والعجن.

---

(1) انظر تهذيب التهذيب - ابن حجر - ج12: 418، خلاصة التذهيب - الخزرجي - ج3: 381، الثقات ج3: 358.

(2) انظر طبقات ابن سعد ج8: 268، نساء الصحابة 245، مائة من أوائل النساء - سليمان سليم البواب ص194.

(3) سورة التوبة، الآية: 7.

(4) البخاري ج7: 46، نساء الصحابة 160.

(5) أعلام النساء ج4: 33، الطبقات ج8: 51، نساء الصحابة 172.

وهناك الكثير من النساء كن يقمن بالأعمال المناسبة عندما اضطرتهن الحياة لذلك فالأرامل اللاتي ليس لهن من يعولهن أو يعول أطفالهن كن يعملن، فعن جابر قال «طلقت خالتي ثلاثاً فخرجت تجذُّ نخلاً لها فلقيها رجل فنهاها فأتت النبي - ﷺ - فذكرت ذلك له فقال لها: اخرجي فجذي نخلك لعلك أن تصدقي منه أو تفعلي خيراً»[1]، ولكن تلك الأعمال التي تقوم بها المرأة لا تؤثر على مهمتها الأصلية من إنجاب الأبناء وتربية الأبطال.

وبهذا نرى أن من واجب المرأة أن تختار الوظائف التي تناسبها مما يتفق مع طبيعتها وتكوينها مع المحافظة على الالتزام والحياء عند خروجها مما يحفظها كفرد ويحفظ الأسرة ككيان ويحفظ المجتمع من الانحراف والانهيار.

أما ما يطالب به الغرب ويصدره إلى الشرق[2] فهو تحرير المرأة من الحشمة والإخلاص والقيم مما أدى إلى هدم الأسر أولاً وأوقعها في المآسي المحزنة ثانياً والتي تصرخ منها نساء الغرب اليوم، بالإضافة إلى ما تخفيه هذه الدعوة الخبيثة من نوايا سيئة.

كما أنَّ الإسلام منح المرأة حق التصرف في أموالها الخاصة:

فمتى بلغت ورشدت البنت صار لها كل ما للولد من الحق المطلق في التصرف فيما تملك، وقد حدث ذلك عملياً في حياته - ﷺ -، ومن ذلك **زينب الثقفية** فقد سمعت الرسول - ﷺ - يقول: «تصدقن معشر النساء ولو من حليكن» فانقلبت إلى ابن مسعود زوجها فأخبرته بما سمعت وأخذت حليها فقال لها أين تذهبين بهذه الحلي، فقالت: أتقرب بها إلى الله فقال: هلا تصدَّقتِ بها علي وعلى ولدي..»[3].

---

(1) ابن ماجة ج1 ص 656.

(2) حقوق الإنسان في الإسلام ص228.

(3) حلية الأولياء ج2: 69، الطبقات ج3: 159، البخاري ـ باب الزكاة ـ.

وفي رواية أنها ذهبت إلى الرسول - ﷺ - وقالت «يا نبي الله إنك أمرت بالصدقة وكان عندي حلي لي فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال - ﷺ - صدق ابن مسعود، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم»[1].

وفي رواية أخرى أنها قالت لزوجها ابن مسعود «سل الرسول - ﷺ - أن أنفق عليك وعلى يتامى في حجري من الصدقة، فقال سلي أنت فانطلقت إليه - ﷺ - فوجدت امرأة من الأنصار حاجتها مثل حاجة زوجة ابن مسعود فقالت فمر علينا بلال فقلت سل النبي - ﷺ - أ يجزي عني أن انفق عن زوجي وأيتامي في حجري وقلن لا تخبر بها فدخل فسأله..... فقال نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة»[2].

وفي رواية النسائي قال - ﷺ -: «نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة»[3]، كما أنها كانت تقوم ببعض الأعمال اليدوية وتبيع من صناعتها فقالت لعبد الله زوجها: والله إنك شغلتني أنت وولدك عن الصدقة في سبيل الله فسل النبي - ﷺ - فإن كان لي في ذلك أجر وإلا تصدقت في سبيل الله فقال ابن مسعود: إنَّه قال - ﷺ -: «أنفقي عليهم فإن لك أجر ما أنفقت عليهم» وفي حديث آخر: «لك أجران أجر القرابة وأجر الصدقة»[4].

وأيضاً عن زينب ابْنةِ أم سلمة قالت: «قلت يا رسول الله ألي أجر أن أنفق على بني أبي سلمة إنما هما بني فقال أنفقي عليهم فلكِ أجر ما أنفقتِ عليهم»[5].

---

(1) البخاري شرح الكرماني ج8: 6.

(2) البخاري شرح الكرماني ج8: 12.

(3) النسائي شرح السيوطي ج5: 93.

(4) حلية الأولياء ج2: 70، البخاري ـ باب الزكاة ـ، الاستيعاب ج4: 310.

(5) البخاري شرح الكرماني ج8: 12.

وهذه أم سليم السابقة الذكر قال ابنها أنس بن مالك[1]: عمدت أم سليم إلى شعير فطحنته ثم عمدت إلى عكة كان فيها شيء من السمن فاتخذت منه أكلة ثم أرسلتني إلى النبي - ﷺ - قال فأتيته وهو في أصحابه فقلت: إن أم سليم أرسلتني إليك تدعوك فقال: أنا ومن معي فجاء هو ومن معه وأكلوا جميعاً من ذلك الأكل ونزلت البركة في الطعام.

ومن خلال القصة أنها صنعت الطعام دون أن تأخذ إذن زوجها وهذا يدل على حرية المرأة في التصرف فيما تملك.

ولكن للأمانة العلمية فقد وجدت رواية أخرى لهذه الحادثة تختلف عما سبق ذكره ولعل ذلك يكون في يوم آخر أو في وقت آخر فعن أنس أيضاً قال: «وجدت النبي - ﷺ - في المسجد معه أناس فقمت فقال لي أرسلك أبو طلحة، قلت نعم، قال لطعام؟ قلت نعم، فقال لمن حوله قوموا فانطلقوا وانطلقتُ بين أيديهم»[2]، وفي هذا الحديث الذي أرسله أبو طلحة وليس أم سليم زوجته كما أننا نرى من خلال هذا الحديث يجوز للمدعو إذا علم أن الداعي لا يكره أن يحضر معه غيره فلا بأس بإحضاره غيره، وقوله في المسجد أي المسجد النبوي وقيل المراد به المكان الذي أعده النبي - ﷺ - للصلاة فيه عند محاصرة الأحزاب للمدينة.

كما أنَّ الإسلام أنكر حرمان الأنثى حقها في الميراث:

فضلاً على اعتبارها تركة تورث فجعل لها نصيباً في الميراث وما ينقص من ميراث البنت هو في مقابل ما سوف يرد لها على سبيل المهر والنفقة فالأمر تنظيم مالي قد نظر فيه إلى الأعباء والتكاليف المالية المفروضة على كل شخص

---

(1) البخاري ج7: 28.

(2) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري ـ محمد الشنقيطي ـ ج7: 100.

وبهذا نظم الإسلام الميراث وجعل للنساء حقّاً فيه، ومن المواقف التي حدثت في عهده - ﷺ - في موضوع الميراث فقد غضب الرسول - ﷺ - للسيدة أم كلثوم[1] التي مات عنها زوجها الصحابي أوس بن ثابت تاركاً لها ابنتين وابناً صغيراً فاستولى ابنا عمه على ميراثه كله ولم يدعا منه شيئاً للبنتين لأنهما ابنتان ولا لأخيهما لأنه صغير، فلما شكت إلى الرسول - ﷺ - هذا الحرمان أنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[2]، ثم أنزل بعد ذلك ما أنزل من آيات الميراث.

كما أنَّ الإسلام منح المرأة الحق في أموال زوجها المتوفّى عنها[3]

وذلك لوفائها وحدادها عليه مدة طويلة بل الكثير من الزوجات لا يتزوجن بعد وفاة بعولتهن وفاءً لهم، فكان الميراث تنفق منه على نفسها بعده ومن رعاية الرسول - ﷺ - للمرأة أنه عندما مات بعض المهاجرين وتركوا زوجاتهم وتطلع ورثتهم من أهل مكة وسواهم لأخذ ميراثهن، وهذا يحدث اضطراباً في الاستقرار العائلي ويعرض الزوجات إلى المضايقة والرسول - ﷺ - يهمه مصير أولئك الأبرار الذين هاجروا معه وتركوا تحت حمايته زوجات وفيات كافحن في سبيل الإسلام، ولهذا حكم بتخصيص نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن دون بقية الورثة، وإنه لقضاء حكيم وتدبير عادل اقتضته حالة استثنائية ناتجة عن الهجرة ومخلفاتها ودعا إليه ما يجب توفيره لنساء المهاجرين من الاستقرار العائلي الذي يساعد على مواصلة الكفاح، ثم الإسلام بعد ذلك

---

(1) تفسير القرطبي ج5: 145.

(2) سورة النساء الآية 7.

(3) مرآة الجنان ـ اليافعي ـ ج1: 342.

حرم ميراث المسلم على الكافر وبهذا يكون أهل مكة لا يرثون في أموال أهل المدينة حتى لو كانوا أقرباء ماداموا كفّاراً.

ومن الأشياء المهمة التي منحها الإسلام المرأة الثقة فقد كان العرب قبل الإسلام لا يستأمنون المرأة على سر من الأسرار العادية فضلاً عن الأسرار الخطيرة فارتفع الإسلام بالمرأة من هذه الناحية إلى مستوى رفيع من الثقة بها والاعتماد عليها حتى في كتمان أخطر الأسرار، ومن ذلك نجده - ﷺ - أول من باح له بسر نزول الوحي كانت السيدة خديجة وكتمت الأمر حتى أمر الله بنشره بقوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

كذلك أسماء بنت أبي بكر الوحيدة التي عرفت سر ومكان الغار الذي فيه الرسول - ﷺ - وأبوها وظلت حريصة على هذا السر حتى عندما طرق أبو جهل باب منزل أسرتها وسألها عن أبيها قالت: لا أدري فلطمها لطمة أطارت من أذنها قرطها وتألمت كثيراً، ولكن ما أطارت صوابها ولا سرها.

وهذه أم سلمة أم المؤمنين التي أفضى إليها - ﷺ - دون سواها بما أهمه يوم الحديبية[2] قائلاً لها: «هلك المسلمون أمرتهم بذبح الهدي والحلق أو التقصير فلم يمتثلوا» فهونت عليه الأمر قائلة له: «إنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح وحببت إليه أن يسارع أمامهم إلى الذبح والحلق أو التقصير فأقبل الصحابة على الاقتداء به» فيحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتَمَلَ عندهم أن يكون أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم وأنه - ﷺ - مستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وفي

---

(1) سورة الحجر آية 94.

(2) الإصابة ج4: 459، عيون الأثر ج2: 62، جمهرة أنساب العرب ص134.

هذا دليل على فضل المشورة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى وأنَّ الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد وفيه جواز المشورة للمرأة الفاضلة وفي هذا دليل على فضل أم سلمة ووفور عقلها واتزانها[1].

وعائشة التي كانت تعرف سر عزمه على التوجه إلى فتح مكة وهو من أخطر الأسرار السياسية والعسكرية، وعندما سألها أبوها إلى أين الوجهة أجابت: لا أدري[2].

وحفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين التي ائتمنها الصحابة بالإجماع على المصدر الأول للإسلام القرآن فحفظ عندها بعد موت عمر بن الخطاب أبيها[3]، وقد اقتدى الصحابة والتابعون برسول الله - ﷺ - في ثقته بالمرأة وفي المعاملة الحسنة لها.

شخصيات نسائية نزلت فيهن آيات قرآنية تحمل أحكاماً شرعية وكيفية تعامل الرسول - ﷺ - مع ذلك:

عندما أشرق نور الإسلام بدد ظلمات الجهل وقضى على التخلف والفساد وجاء بتشريع كامل ينظم حياة الإنسان في جميع نواحيها ووضع المبادئ التي تكفل الحياة المطمئنة لكل من الرجل والمرأة والقرآن من خلال آياته الحكيمة تناول المرأة في مواضع كثيرة ومع هذا التكريم للمرأة فإن القرآن ميز عدداً من النساء فذكرهن بالاسم أو بالصفة فمنهن من ذكرها لتسجيل حالة من الحالات أو إيضاح موقف من المواقف ومنهن من ذكرها لتكون مثلاً أعلى وقدوة حسنة لنساء المسلمين لما فيها من صفات حميدة وما لها من أعمال نبيلة ومن النساء من

---

(1) السيرة النبوية من فتح الباري ج2: 223.

(2) الإصابة ج4: 360، سطور مع العظيمات 15.

(3) الإصابة ج4: 273، الخلاصة ج3: 378.

ذكرهن القرآن وسيلة للتحلل من العادات والتقاليد الظالمة في الجاهلية كشخصية **خولة بنت ثعلبة** المجادلة والمحاورة للرسول - ﷺ -.

فهذه امرأة أوس بن الصامت[1] أخي عبادة بن الصامت كانت وزوجها من المسلمين الأوائل ولأمر ما حدث خلاف بينهما وتطور حتى قال أوس لامرأته أنت عليَّ كظهر أمي أي إنَّها أصبحت محرمة عليه حرمة الأم على الابن، وكانت هذه العادة من العادات السيئة التي كانت في الجاهلية وهي أشد من الطلاق فالزوجة تصبح معلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة ولم تكد خولة تسمع هذه العبارة حتى قالت فزعة: أوس ماذا تعني؟ فقال بتأكيد يشوبُهُ الغيظ والانفعال: أنت حرام علي كأمي تماماً، فأسقط في يد خولة وحارت ماذا تفعل في هذه المصيبة وندم الزوج على ما صدر منه فطلبت منه خولة أن يسأل الرسول - ﷺ - فقال لها: إنّي أستحي فذهبت خولة للرسول - ﷺ - حزينة باكية شاكية تسأله مخرجاً لها وتلتمس منه تفريج كربتها وإزالة ما نزل بها من مكروه وخاصة أن لها من بعلها أولاداً صغاراً فقالت: يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات مال وأهل حتى إذا كبر سني ومات أهلي ظاهر مني ولي منه صبية صغار إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلى جاعوا وقد ندم زوجي عما صدر منه فهل من شيء يجمعني وإياه فقال الرسول- ﷺ -: «ما عندي لكِ شيء».

حيث لم ينزل في هذا الأمر قرآن فأوشك عقل خولة أن يطير من رأسها وازدادت لوعتها واستمرت شاكية تجادل الرسول - ﷺ - وتحاوره وتدعو الله

---

(1) تفسير البحر المحيط ـ لأبي حيان الأندلسي ـ ج8: 330، نساء في القرآن ـ هدية سلطان ـ ص91، المرأة في القرآن والسنة ـ محمد دروزة ـ ص110، تفسير الفخر الرازي ج29: 249، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ السيوطي ـ ج6، 179.

بقولها: اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه مخرج، وبينما هي في تضرعها وتوسلها نزلت الآيات بإقرار الشكوى وتقرير الحق فيها فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[1] فقال الرسول - ﷺ - أبشري يا خولة قد سمع الله شكواك واستجاب لكِ ثم طلب الرسول - ﷺ - من أوس أن يقدم الكفارة التي يستطيعها حتى ترجع إليه زوجته وبذلك رحم الله تلك المرأة وجعلها قريرة العين مع أبنائها، وفي جعل الكفارة على الزوج حماية للزوجة ودفع الأذى والضرر عنها وعن الحياة الزوجية ثم إنَّ هذا التشريع عام وليس خاصّاً بخولة لقوله تعالى: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾، وهكذا وضع الأمر في نصابه فالزوجات لا يمكن أن يكن أمهات أزواجهن لمجرد أن يقول الزوج أنتِ علي كظهر أمي لأن أمهاتهم هن اللاتي ولدنهم كما في قوله تعالى: ﴿..... وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ....﴾[2]. وكان حكم الآية عامّاً في جميع المواقف المماثلة وقد حدثت قصص أخرى أمر الرسول - ﷺ - من تلفظ بتلك الألفاظ أن يأتي بالكفارة المذكورة في القرآن ويرجع إلى زوجته لأن قول ذلك منكر وزور يجب التوبة منه مع الكفارة ومن نتائج تلك القصة موقف خولة ومجادلتها ومحاورتها للرسول - ﷺ - يدل ذلك على حق المرأة في المطالبة بحقوقها والتمسك بها فالله استجاب لها وأنزل الحل لمشكلتها بل هو تشريع عام لإبطال الظهار والوعيد لمن يتلفظ به، لأنه سبب في تفكك الأسرة وتشرد الأطفال من أجل

---

(1) سورة المجادلة آية1.

(2) تفسير الكتاب العزيز ـ هود بن محكم ـ ج4: 304، تحرير المرأة في عصر الرسالة ـ عبد الحليم أبو شقة ـ ج2: 10، تفسير القاسمي ج16: 705، خلاصة التذهيب ج3: 380، مرآة الجنان– اليافعي ـ ج2: 34. البخاري بحاشية السندي مج3 ص 276.

ذلك نزل القرآن يندد بالمظاهر ويوبخه على فعله ووصف القرآن علاجاً لهذا الداء ودواء يشفى منه ويؤدب الحمقى من الأزواج، والعلاج قاسٍ والدواء مر ولكنه يؤدب الجاهلين ويعود بالخير على الأسرة وهو أن يعتق عبْداً من عبيده فيكسب العبد حريته وقد لا يتيسر هذا الدواء لأنه قد مضى زمن الرق ولم يعد في الإسلام عبودية فيجرع دواء الصوم شهرين متواصلين فيكسب كفارة عن جريمة وتطهير النفس من الشر ويكسب المجتمع رجلاً تهذب بالصوم وتأدب بالحرمان وذاق مرارة الفسوق والعصيان، فإن لم يستطع أن يصوم فإن عليه أن يطعم ستين مسكيناً فيكسب المساكين طعاماً من أخ مسلم مخطئ. وبذلك انزاحت سحب الظلام وقامت بفضل الإسلام ودعائمه الأسرة المسلمة القوية وبالتالي المجتمع الإسلامي القوي كما أننا لاحظنا أن خولة كانت خائفة على أطفالها من الضياع وهذا ما يجب أن تفكر فيه كل امرأة تراودها أفكار الانفصال عن زوجها حيث يجب التضحية من أجل الأطفال الذين هم رجال ونساء المستقبل.

كما نزل القرآن في حادثة الإفك تبرئة لعائشة مما اتهمت به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، فلا ينسى التاريخ موقف الرسول - ﷺ - النبيل من زوجته عائشة ومعاملته الطيبة لها وحديث الإفك يذيعه المغرضون وينشره بين الناس المنافقون حتى جعلوه أشبه بالحقيقة من كثرة اللغو فيه ووصل الخبر إلى مسامع عائشة فأراد الرسول - ﷺ - أن يعرف الحديث من مصدره بالرفق واللين حتى يتخذ منه موقفاً يتفق والتشريع الإسلامي ونزل القرآن ببراءة عائشة، وكان لنا في الرسول - ﷺ -

(1) سورة النور آية 11.

أسوة حسنة فقد كانت معاملته لعائشة في تلك الفترة المحرجة تتسم بالرفق والمروءة والتمهل حتى انجلت الغمة وذهبت الفتنة وظهرت البراءة.

كما نزل القرآن في زينب بنت جحش في الأمر بزواجها بزيد بن حارثة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[1]، ثم نزل بعد ذلك في زواجها بالرسول - ﷺ - في قوله تعالى: ﴿.....فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ .....﴾[2] وفي ذلك تشريع الزواج بزوجة المتبنَّى لأنه ليس بالابن الحقيقي الذي يحرم الزواج بزوجته كما ذكر سابقاً.

وقد نزل قرآن في المرأة عندما تشعر بإعراض زوجها عنها ماذا تفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3]، قالت عائشة «هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها تقول له أمسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حلّ من النفقة عليّ والقسمة لي فذلك قوله - تعالى - «فلا جناح عليهما...»[4] لقد بينت الشريعة الإسلامية أن للطلاق مضاره المعروفة على الأسرة بصفة خاصة وعلى المجتمع بصفة عامة وله آثارُهُ النفسية على الزوجين إضافة إلى أثره على المرأة إذا لم يكن لها مورد رزق تعتمد

---

(1) سورة الأحزاب آية 36.

(2) سورة الأحزاب آية 37.

(3) سورة النساء آية 128.

(4) البخاري بحاشية السندي مج 3 ص 262.

عليه فقد يخشى عليها أن تسلك مسالك غير شريفة وللطلاق أثره على الرجل أيضاً في تحمل تبعاته المالية كما يتضرر به الأبناء الذين لا يجدون الرعاية الصحيحة في كنف الوالدين، فإمَّا أن يعيشوا تحت رعاية زوج الأم أو تحت رعاية زوجة الأب وإما أن يتشردوا ولا يجدوا من يحميهم من الانحراف وفي ذلك أبلغ الضرر على المجتمع.

ولهذا أمر الإسلام بمراجعة أسباب الطلاق بكل الوسائل والطرق وأوصى الزوجين بالحكمة وضبط النفس قبل الإقدام على الطلاق أو العزم عليه فقد أوجب على الرجل إذا أحس بالنفور من زوجته وفكر في طلاقها أن يصبر وأن يفكر في العواقب وحذر القرآن من مسايرة النزعة الطارئة وأرشد إلى محاربتها قال تعالى: ﴿.... وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

وقد حضَّ الرسول - ﷺ - على الصبر على سوء خلق الزوجة في قوله- ﷺ -: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»[2]، ولكن إن اشتد الشقاق والمخاصمة بين الزوجين ولم يستطع الطرفان علاج المشكلة تدخلت عناصر للعلاج تهمها مصلحة الزوجين وقد أمر الله أن يكون بينهما حكمان من أهلهما وعليهما السعي في إصلاح ذات البين بينهما[3].

وفي رجوع المرأة إلى زوجها الذي طلقها طلاقاً رجعيّاً إذا شعر كل منهما بأنه في حاجة إلى الآخر وإن تجربة الطلاق كانت درساً مفيداً لهما ومحافظة على الأولاد من التشرد والضياع نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

---

(1) سورة النساء آية 19.

(2) صحيح مسلم ج10: 58، الدارقطني ج3: 223.

(3) تفسير الجواهر ـ طنطاوي ـ ج3: 39، هذا حلال وهذا حرام ـ عبد القادر عطا ـ ص928.

تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ذكرت كتب التفسير والحديث في سبب نزول هذه الآية أنه كان لمعقل بن يسار أختٌ خطبها الكثير من الخطاب ولكنه زوجها ابن عم له فكانت عنده ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة ثم أراد ترجيعها فأبى معقل وقال له والله لا تنكحها أبداً وكانت أخته راغبة فيه أي في زوجها الذي طلقها فنزلت الآية السابقة فكفر معقل عن يمينه وأنكحها إياه، وقيل نزلت في جابر بن عبد الله الذي كانت له ابنة عم طلقها زوجها وانقضت عدتها ثم جاء زوجها يريد مراجعتها وكانت راغبة فيه فمنعه جابر من ذلك لهذا السبب أو ذاك نزلت الآية[2].

وبين الله تعالى أن رد النساء إلى أزواجهن أفضل من التفرقة بعد شعور كلٍّ منهما بحاجتِهِ إلى الآخر وحيث إنَّه تعالى يعلم أن الأولياء من شأنهم الأنفة من أصهارهم عند حدوث الشقاق بينهم وربما رأوا الطلاق استخافاً بأولياء المرأة وقلة الاكتراث بهم فحملتهم الحمية على قصد الانتقام منهم عندما يرون منهم ندامة ورغبة في المراجعة ولهذا بين لهم سبحانه تعالى أنه لا يليق للأولياء ومن له شأن أن يمنع المرأة المطلقة إذا انقضتْ عدتها من أن تنكح زوجها وترجع إليه إذا حصل التراضي بينهما فإن ذلك أزكى وأطهر للأعراض والبيوت.

فإن رجوع الزوجة لبيت الزوجية يجعل الأبناء يشعرون بالأمان والاستقرار وخاصة بعد تلك التجربة الفظيعة التي خاضها جميع أفراد الأسرة ورجوع الأسرة إلى سابق عهدها يجعلُها أكثر تماسكاً ووداً، وتصبح نفوس الأطفال بعيدة عن

---

(1) سورة البقرة آية 232، تفسير القرطبي ج3: 158 وغيره من التفاسير.

(2) تفسير الطبري ج2: 368، القاسمي ج2: 269، التحرير ابن عاشور ج2: 426، تفسير الواضح - الحجازي - ج1: 69، زاد المسير في علم التفسير ج1: 270، سنن أبي داود ج2: 230.

القلق والاضطراب والإسلام يهمه أن تعيش الأسرة في جو يسوده الود والاحترام وفي هذا الرجوع سعي إلى استبقاء الود بين العائلات التي تقاربت بالمصاهرة والنسب ولا تضر الخصومة في وقت قصير يعقبها رضا ورجوع المياه إلى مجاريها، وبذلك يكون كل فرد من الأسرة استفاد من تلك التجربة وسوف يحاولون إصلاح الأخطاء قبل تفاقمها وهو درس مفيد للجميع وهذا من رحمة الله بعباده الذي أباح الطلاق وأباح ترجيع الزوجة بعد ذلك بشرط أن يكون عن تراضٍ من الزوجين فسبحانه الحكيم العليم بكل شيء[1].

وفي المضايقة التي كانت تحدث للمرأة من الزواج بابن الزوج بعد وفاة والده الذي يعتبر بمنزلة ابنها نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2]، وإذا كرهت المرأة زوجها ماذا تفعل؟ نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ ...فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3] فالإسلام أعطى للمرأة حق الخلع إذا كانت كارهة لزوجها والخلع بضم الخاء في اللغة النزع والإزالة وفي الشريعة الإسلامية حل عقدة الزوجية بلفظ الخلع وما في معناه في مقابل عوض تلتزم به المرأة وتفتدي به نفسها سواء أكان مالاً أو غيره وفي ذلك تكريم للمرأة وتقديس لحريتها في طلب حل عقد النكاح مقابل مال تفتدي به نفسها[4]. ومعنى «ألا يقيما حدود الله» حدود الله فيما افترضَ لكل واحد منهما

---

(1) أحكام القرآن للشافعي.

(2) سورة النساء آية 22.

(3) سورة النساء آية 229.

(4) الدارقطني ج3: 255

على صاحبه في العشرة والصحبة[1]، ومرد ذلك أن الشريعة الإسلامية لا تكره الزوجين على استمرار حياتهما في مشقة ونكد فإذا كانت الزوجة كارهة لزوجها لا تطيق عشرته لسبب يخص مشاعرها وتحس أن كراهيتها له ستقودها للخروج عن حدود الله في حسن العشرة والعفة أو الأدب يجوز لها أن تطلب الطلاق منه وأن تعوضه على تحطيم عشه بلا سبب متعمد منه فقد يكون أحسن العشرة وأدى ما عليه من واجبات ولكنها لا تريده فعليها أن تتحمل نتيجة عملها بأن تفتدي نفسها بمال تدفعه للزوج ليوقع عليها الطلاق وهذا ما يسمى بالخلع وقد حدثت سابقة في عهده - ﷺ - حيث جاءت امرأة وقالت له: «لا أعيب زوجي في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام فإنني لا أطيقه أبداً فقال لها الرسول- ﷺ -: أتردين عليه حديقته (كان قد أمهرها زوجها حديقة) فقالت: نعم فقال - ﷺ - للرجل خذ الحديقة وطلقها»[2].

وهنالك الكثير من الروايات التي تحمل نفس المعنى وهي تصور الحالة النفسية لبعض النساء حيث واجهها الرسول - ﷺ - مواجهة من يدرك أنها حالة قاهرة لا جدوى من استنكارها وأنَّه لا خير في عشرة تسودها هذه المشاعر، فماذا تفعل المرأة التي كرهت زوجها وهو لا يريد طلاقها فهل تنتحر أو تقتله كما تفعل النساء في الغرب أم ماذا تفعل؟ إن الإسلام لم يترك شيئاً كبيراً أو صغيراً إلا ووضع له حلاً وحكماً وتشريعاً للرجال والنساء عامة فأختار لها الرسول - ﷺ - الحل من المنهج الرباني الذي يواجه الفكرة البشرية مواجهة صريحة عملية واقعية.

---

(1) البخاري بحاشية السندي مج3 ص 275.

(2) النسائي ج7 ص 58، تفسير الحديث للدروزة ج6: 418.

ثم جاء التعقيب في الآية يحذر المتعدي حدود الله بالنسبة للمرأة والرجل معاً فقد قال - ﷺ - «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس حرام عليها رائحة الجنة»، فطلب الطلاق والخلع محظور في غير حال الضرورة المنصوصة في الآية وأيضاً إذا كان الزوج يريد أن يستبدل زوجته بزوجة أخرى فيعمل على الإضرار بها ولا يوفيها حقوقها الشرعية حتى يضطرها إلى طلب الطلاق أو الخلع فإذا ثبت ذلك يمضي الطلاق أو الخلع ويرد على الزوجة مالها إذا أخذه منها وهذا يدل على عظمة الإسلام وعدله، والخلاصة في موضوع الخلع أن الزوجة إذا أبغضت زوجها بغضاً لا تستطيع الصبر عليه وخافت الوقوع في النشوز ويسرف هو في العقوبة فمن العدل أن تعطيه ما كانت أخذت منه باسم الزوجية فلا إثم فيما أخذ ولا على الزوجة فيما بذلتْ[1].

وهناك نساء اشتكين من دخول الرجال عليهن دون إذن فنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

قد اهتم الإسلام بالبيوت التي هي سكن الإنسان ومكان راحته واستقراره[3] ولهذا نزلت آيات تتكلم عن آداب الاستئذان على البيوت وعن المبادئ والنظم التي تنظم هذه المسألة، فالإسلام يهتم بهذه الجزئية من الحياة الاجتماعية لما لها من أهمية فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكناً يوفر على أهلها الحرج من المفاجأة والتأذي بانكشاف

---

(1) تفسير ظلال القرآن ج2: 196، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ـ الصابوني ـ ج1: 321، الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ـ زكي الدين شعبان ـ 229.

(2) سورة النور آية27.

(3) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ـ ناصر الشيرازي ـ مج11: 60.

العورات لان ولوج البيوت بغير هذه الآداب يسبب أموراً تدعوا إلى الريبة والشك والضيق فهناك نساء اشتكين للرسول - ﷺ - من دخول الرجال عليهن دون إذن فنزلت الآيات السابقة، وفي كتب التفاسير[1] أن الاستئناس أن يتكلم بالتسبيحة والتكبيرة وغيرها حتى يعلم أهل البيت بدخول الزائر عليهم، وفي الحديث «لو أن امرَأً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من حرج» وقال - ﷺ - «إذا دخل البصر فلا إذن»[2]، كما أن القرآن أمر أن تكون مخاطبة الرجال للنساء داخل بيوتهن ومطالبة أشياء منهن يكون من وراء حجاب أو ستر أو باب كما في الزمن الحاضر وهذا أطهر للقلوب من خواطر الشيطان[3]. وأيضاً ما يصيب العلاقة الزوجية في كيانها وينتهي إلى شر العواقب السماح في أن تدب إلى أرض البيت قدم رجل أجنبي غير محرم بغير تحفظ، وقد أضفى العرف المنحرف والتقليد الغربي على هذا الصنف وصف صديق العائلة أو صديقة العائلة فكم من مآسٍ تعرضت لها الحياة الزوجية الآمنة وكان جرثومتها ذلك الأجنبي الدخيل الذي عومل معاملة أفراد الأسرة، فالإسلام لا يعترف بهذه العلاقات القائمة على نسيان طبيعة كل من النساء والرجال وإسقاطها من الحسبان مهما حاول المتحللون وبذلوا من جهد للترويج لهذِهِ الحضارة الزائفة فلا يقل أحد: إنَّ الاختلاط وإزالة الحجب والترخص في الحديث واللقاء والمجالسة والمواكلة وغير ذلك لا يقال: إنّ كل ذلك أطهر للقلوب إلى آخر ما يقوله نفر من الضعاف المهازيل

---

(1) تفسير القاسمي ج7: 182، البرهان في تفسير القرآن ـ الكتكاتي ـ مج3: 129، الكشاف ـ الزمخشري ج3: 225، الميزان في تفسير القرآن ـ الطباطبائي مج109:15.

(2) سنن أبي داود ج5: 366.

(3) تفسير القرآن وإعرابه وبيانه ـ محمد طه الدرَّة ـ مج11: 304.

المحجوبين عن نور الله فالواقع الملموس والتجارب المعروضة اليوم في العالم أنَّ الاختلاط والخلوات داخل البيوت بين الجنسين كان لها أبشع النتائج وأمر الثمار[1].

فالمجالسة والمؤاكلة والتبسط في الأحاديث لا تجوز مع من يمنع النظر إليه أو إليها[2] فقد قال - ﷺ -: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان»[3] وفي حديث آخر قال - عليه الصلاة والسلام -: «إياكم والدخول على النساء فقال رجل: يا رسول الله أرأيت الحمو، قال: الحمو الموت»[4] وهو أخو الزوج وأقاربه وأقاربها فإنه كره أن يخلو بها والخوف منه أكثر من غيره، كما أنَّ الخوف من الموت أكثر من غيره، وبهذا احتاط الإسلام للمرأة من الأقارب غير المحارم ووصف تلك المخالطة بالموت لخطورتها[5] كما قال - عليه الصلاة والسلام - في حديث آخر: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره وتخرج وهو كاره»[6]. وبهذا يجب أن يكون داخل البيوت مجالس خاصة للنساء وأخرى خاصة للرجال، حتى لا يحدث الاختلاط ثم المجالسة والمؤاكلة وبعد ذلك تحدث المباسطة والإعجاب ثم النتيجة دمار البيوت وتشريد الأطفال.

وبعد الحديث في موضوع الداخل إلى البيوت وكيفية التعامل معه والآداب التي يجب أن تتبع في ذلك، ذكر لنا القرآن طريقة التعامل والمخالطة

---

(1) المرأة وحقوقها في الإسلام ـ د. محمد عفيفي ـ ص94.

(2) انظر القوانين الفقهية ـ لأبي القاسم الغرناطي ـ ص451.

(3) انظر نيل الأوطار ـ الشوكاني - ج6: 240 دار الجيل.

(4) الترمذي ج5: 120، نيل الأوطار ـ الشوكاني ـ ج6: 241 دار الجيل ط.1973.

(5) انظر بستان الصالحين وروضة الصالحات ـ المستريحي حمد ـ ص37.

(6) فتح الباري بشرح البخاري ج9: 206.

بين أفراد الأسرة داخل البيت الواحد وآداب الاستئذان لأتباع العائلة، ومن هو شديد الاختلاط بهم في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بالاستئذان في أوقات معينة للخدم والأطفال[2] الذين لم يبلغوا الحلم هؤلاء يدخلون دون استئذان لأنهم يترددون عليهم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة، ولكن في هذه الأوقات الثلاثة يجب الاستئذان لأنه عادة تنكشف فيها العورات ويختل فيها التستر، وهذه الأوقات عند الفجر حيث يقوم الإنسان وهو في ثياب النوم وعند القيلولة والاستراحة، وبعد العشاء، والأطفال الصغار رغم ارتباطهم بالوالدين ارتباطاً وثيقاً منعهم من الدخول في هذه الأوقات إلا بعد الاستئذان والحكمة من ذلك والله أعلم كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم المنزلية ظانين أن الصغار قبل البلوغ لا يتنبهون لتلك المناظر، بينما يقرر علماء النفس أنَّ بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها، والعليم الخبير يؤدب المسلمين بهذه الآداب حتى تكون الأمة سليمة الأعصاب مهذبة المشاعر طاهرة القلوب نظيفة التصورات ولهذا

---

(1) سورة النور آية 58.

(2) تفسير ابن كثير ج3: 278، تفسير القرآن وإعرابه ـ محمد طه الدرة ـ مج9: 549، الكشاف ج3: 253، الميزان مج15: 161، الكاشف ج5: 438، روح المعاني ـ الألوسي البغدادي ـ مج6: ج18: 213، البيضاوي مج2: 131، تفسير الرازي ج24: 32، القاسمي مج7: ج12: 231، البحر المحيط ج6: 447، الدرر المنثور ـ السيوطي ـ ج5: 41، التحرير ج18: 213.

يجب على الأطفال الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة أما إذا وصلوا إلى سن البلوغ فيجب عليهم الاستئذان في جميع الأوقات كما قال- ﷺ - «للرجل الذي سأله هل يستأذن على أمه فقال نعم.....» الحديث.

أما ما يقال أن ابن عباس قال: كان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا أبواب فربما دخل الخادم أو الطفل أو يتيمة الرجل[1] والأهل على وضع لا يحبون أن يراهم عليه أحد فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات الثلاث، ويقول أيضاً: ثم جاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحداً يعمل بذلك وهناك من قال: إنَّ الأمر في الآية للندب.

والحقيقة أن العمل بهذه الآية يجب أن يكون مستمراً حتى تقوم الساعة، فرغم الأبواب والأقفال فقد ينسى الإنسان الباب مفتوحاً وتنكشف عوراته، ولهذا يجب الاستئذان في هذه الأوقات لجميع من في البيت عملاً بقوله تعالى العليم الخبير بمخلوقاته.

أما بالنسبة لقضية التبني وكيف يعامل المتبنى داخل الأسرة سواء أكان ولداً أم بنتاً فالإسلام ينظم العلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة لأنها المحضن الذي تنشأ فيه الأجيال، وفي مسألة التبني ودعوة الأبناء إلى غير آبائهم تسبب الخلل في بناء الأسرة وبناء المجتمع كله بالإضافة إلى الكوارث التي تحدث بسبب هذا الاختلاط المحرم فأمر الله برد نسبة الأدعياء إلى آبائهم الحقيقيين في قوله تعالى «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله...» وفي حالة عدم معرفة النسب الحقيقي للميتين تكون العلاقة بينهم قائمة على الأخوة في الدين وبهذا تكون الأسرة مستقيمة قوية[2].

---

(1) أبو داود ج5: 378 ط سورية.

(2) الأسرة السعيدة في رحاب الإسلام ـ د. حسن أبو عزة ـ ص144، ظلال القرآن ج6: 53، شبهات أباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ـ محمد الشعراوي ـ جمع عبد القادر عطا ص46، أيسر التفاسير ج2: 252، روح البيان حقي ج7: 136.

فالإسلام لم يمنع العناية بأبناء الآخرين لأي سبب من الأسباب ولكن لابد من دعوتهم لآبائهم الحقيقيين حتى يكون هناك حد بين الشباب والشابات داخل الأسرة الواحدة عندما يكونون ليسوا إخوةً وأخوات، ولقد طال الكلام في آية الاستئذان والآن نرجع إلى نساءٍ نزل فيهن القرآن.

وهذه أم كلثوم[1] بنت معيط أخت عثمان بن عفان لأمه التي سبق ذكرها فعندما هاجرت خرج أخواها في أثرها يطلبانها وقالا يا محمد شرطنا أوف به «كان من شروط الحديبية أن يرد إليهم من جاء إليه منهم» فمنعها الله منهم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

ومن تكريم الإسلام للمرأة أن آيات من سورة الممتحنة نزلت في المرأة التي تنتقل من الشرك إلى الإيمان فالإسلام يؤيدها في ذلك ويحمي دينها بعد التأكد من إخلاصها في ذلك الإيمان وذلك انقاذٌ لها من الاضطهاد الاجتماعي والظلم الذي سوف تتعرض له لو بقيت في مجتمع الكفر والطغيان فنزلت الآية السابقة في أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط بن عبد مناف وهي الشابة الصغيرة التي أسلمت قديماً بمكة ولكن أهلها منعوها من الهجرة وحدث أن خرجت فارة بدينها في هدنة الحديبية مهاجرة إلى المدينة غير خائفة ولا عابئة بأهلها ولا ما سوف يفعلونه بها.

---

(1) الطبقات ج8: 230، أعلام النساء ج4: 255، الاستيعاب ج4: 488، أسد الغابة ج7: 366، موسوعة الرجال التسعة ج4: 484.

(2) سورة الممتحنة آية 10.

وخرج في أثرها بعض أهلها يسألون الرسول- ﷺ - أن يرجعها إليهم فنزل القرآن يمنع رد المؤمنات المهاجرات من دار الكفر ومن أزواجهم الكفار وان يمتحنهن الرسول - ﷺ - بأن يشهدن أن لا إله إلا الله أن محمداً رسول الله، وقيل يكون الامتحان بالحلف أنها ما خرجت إلا حباً لله ورسوله، لا بغضاً في زوجها ولا رغبة في الانتقال ولا لجريرة جرتها، وعندما تأكد الرسول- ﷺ - من إيمان أم كلثوم سمح لها بالبقاء في المدينة لشجاعتها وقوة إيمانها وتزوجت من صحابي، وبذلك شرع الله تحريم المسلمات المؤمنات على المشركين كما أن الله سبحانه وتعالى أبطل نكاح المؤمنة من الكافر أو الاستمرار معه وأبطل كذلك نكاح المشركة من المسلم حتى تكون الأسر الإسلامية صحيحة العقيدة وبالتالي يصلح المجتمع، قالت عائشة «كان - ﷺ - يمتحنهن بأن يشهدن أن لا إله ألا الله وأن محمداً رسول الله وقد يكون بالحلف أنها ما خرجت إلا حباً لله ورسوله لا لغضب مع زوجها ولا رغبة في الانتقال ولا لجريرة جرتها، وعندما يتأكد - ﷺ - من إيمانها يسمح لها بالانطلاق ولم تمس يده يد امرأة قط غير أنه بايعهن بالكلام[1]، وبهذا نرى أي مكانة كانت تحتلها المرأة في عهده - ﷺ - فقد طبق الرسول - ﷺ - المبادئ الإسلامية عملياً وكان يقول: «استوصوا بالنساء خيراً»[2]، وقال أيضاً - ﷺ - «رفقاً بالقوارير»، فقد شبههن عليه الصلاة والسلام بالزجاج الرقيق نتيجة عاطفة الأمومة وعدم القدرة الجسدية وقد أمر بالرفق بالأجساد فكيف بالمشاعر، فعاطفة المرأة أقوى من عقلها وبالمناسبة في حديث ناقصات العقل والدين نجد جميع الرجال إن لم يكنْ أغلبهم يرددون هذا الحديث دون فهم أو إدراك لمعانيه فنص الحديث

---

(1) البخاري بحاشية السندي مج 3 ص 281.

(2) صحيح مسلم ـ كتاب الحج ـ البخاري ج7: 34.

«ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» فالنص يحتاج إلى دراسة من ناحية المناسبة التي قيل فيها الحديث ومن ناحية من وجه إليه- ﷺ - الخطاب ومن ناحية الصياغة التي صيغ بها الخطاب حتى يتبين دلالته على معالم شخصية المرأة، فصياغة الحديث ليست صيغة تقرير قاعدة عامة أو حكماً عاماً وإنما هي أقرب إلى التعبير عن تعجب الرسول - ﷺ - من التناقض القائم في ظاهرة تغلب النساء وفيهن ضعف على الرجال ذوي الحزم أي بالتعجب من حكمة الله كيف وضع القوة حيث مظنة الضعف وأخرج الضعف من مظنة القوة وبهذا فربما تحمل الصياغة معنى من معاني الملاطفة للنساء خلال العظة النبوية في يوم العيد وربما تحمل تمهيداً لطيفاً لفقرة من فقرات العظة وكأنها تقول أيها النساء إذا كان الله قد منحكن القدرة على الذهاب بلب الرجل الحازم برغم ضعفكن فاتقين الله ولا تستعملنها إلا في الخير والمعروف، وهكذا جاءت كلمة ناقصات عقل ودين في مجال إثارة الانتباه والتمهيد اللطيف لعظة خاصة بالنساء ولم تأتِ قط مستقلة في صيغة تقريرية سواء أمام النساء أم أمام الرجال[1].

ونجد في بعض الكتب أن نقص العقل للمرأة ليس بمذمة ولكن لمهمة فنقص العقل ميزة للمرأة تمكنها من الدنو من زوجها ونقص العاطفة عند الرجل يقربه من زوجته فالعاطفة عند المرأة تنشئة الأبناء والعقل عند الرجل إرشادهم، فبهذا جعل الله مهمة الرجل أن يكمل عقل المرأة وهي تكمل عاطفته فيكمل الدين عندهما، فقد قال البوطي المراد بنقصان عقولهن عن الرجال أن العاطفة النسوية لدى المرأة تتغلب على عقلانيتها ورجحانها الفكري وما أظن أن من الناس من يجهل هذا والذي أعرف أن علماء النفس

(1) تحرير المرأة في عهد الرسالة ـ عبد الحليم محمد أبو شقة ـ ص24.

جميعاً متفقون على هذه الحقيقة، والمهم أن هذا الواقع لا يشين المرأة كما أن نقصان العاطفة عند الرجل لا يشينه هو الآخر بل إنَّ سعادة كل من الرجل والمرأة بالآخر رهن هذا الواقع فنقصان العاطفة لدى الرجل تتممه المرأة وذلك هو سر سعادته بها ونقصان العقل لدى المرأة يتممه الرجل وذلك هو سر سعادتها به ولو أبتلي الرجل بزوجة تتمتع بعقلانية متفلسفة على حساب ما كان ينبغي أن يتوفر فيها من العاطفة لشقي بها منذ الأسابيع الأولى ولما صبر عليها، ولو ابتليت المرأة بزوج رقيق العاطفة غض العقلانية والتفكير لملته ولما ملأت رجولته الشكلية منها قلباً ولا عيناً[1]، أما في نقصان الدين فقد فسره البعض أن بعض النساء يسترحن ويشعرن بالراحة عند ترك الصلاة أثناء الحيض وقد قيل هذا لنقصان في الدين وفي الحب للعبادة، وقد يكون لهذا الحديث معانٍ أخرى لم نصل إليها.. والله اعلم، وقيل أيضاً: إنَّ المرأة عندما تنفعل وتثور لا تدري ما تقول.

ومن خلال بعض الكتب وجدت أن المرأة التي يحسن الرجال (الأب أو الأخ أو الزوج) معاملتها تكون من أحسن النساء عقلاً حيث يتغلب العقل على العاطفة، وعندما تخلص المرأة تكون الوفاء والحنان والرحمة والتسلية والتأسية للأسرة ثم للمجتمع، فقد قالت سيدة عاقلة متزنة متحلية بتعاليمه وإرشاداته - ﷺ - عندما سئلت عن أنواع المساحيق التي تستعملها قالت: استعمل لوجهي الإيمان ولكفي الإحسان ولساقي السير في طريق النور ولشعري الستر من العيون ولعيني الغض عما حرم الله.

---

(1) مع الناس ـ البوطي ص198.

أما المرأة في هذه الأيام لم تستفد من تلك الأحكام[1] والتعاليم لأن الكثير ممن ينتسبون إلى الدين الإسلامي فهموا أن الإسلام ظلم المرأة وسلبها حقوقها فنجد الواحد منهم لا يرى حرجاً في ترك الصلاة والصيام متوانياً عن أداء فريضة الحج ساخراً بفريضة الزكاة، ولكنه يغالي في ظلم المرأة والتسلط عليها ومنعها حقوقها الإسلامية ويرى في ذلك آية تدينه وورعه وتقواه، وهناك من ترك للمرأة الحبل على الغارب تفعل ما تشاء باسم الحرية، والإسلام في حقيقته لا إفراط ولا تفريط في كل شيء.

(1) الإسلام انطلاق لا جمود ـ مصطفى الرافعي ـ ص168.

الفصل الثالث

نتائج التربية والإرشاد
والتوجيه النبوي لنساء المسلمين

كان من نتائج التربية والإيمان القوي أن بعض النساء كنَّ السبب في إسلام عظماء الرجال مثل فاطمة بنت الخطاب التي كانت قوة إيمانها والتمسك بإسلامها من أسباب إسلام سيدنا عمر بن الخطاب وأيضاً أم حكيم بنت الحارث وموقفها مع زوجها عكرمة الذي أصبح من كبار المجاهدين في الإسلام وأم سليم التي عرض عليها أبو طلحة مهراً غالياً إلا أن المفاجأة أذهلته عندما رفضت ذلك بعزة وهي تقول: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركاً ولكنه عاد مرة أخرى يمنيها بمهر أكبر وعيشة رغيدة ولكن أم سليم تشعر بأن قلعة الإسلام في قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا وقد تعلمت كل ذلك من معلم الإنسانية - ﷺ - فقالت بأدب جم: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة فإن تسلم فذاك مهري، لقد هزت هذه الكلمات أعماق أبي طلحة وملأت كيانه وما شعر إلا ولسانه يردد الشهادتين وقد استطاعت أن تجعل منه رجلاً قوي الإيمان حتى إنه تصدق بأغلى شيء عنده. وعندما نزل قوله - تعالى - «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون....»، كان لأبي طلحة أرض بالقرب من المسجد أحب أمواله إليه قال إنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال له الرسول - ﷺ - «ذلك مالٌ رابح وإني أرى أن تضعها في الأقربين»[1]، بالإضافة إلى شجاعته واشتراكه في المواقع مع حفظه لحديث الرسول - ﷺ - وروايته له، وهذه المسلمة

(1) فرسان من عصر النبوة ـ أحمد جمعة ص681.

الرائعة أم سليم علمت ابنها أنس بن مالك[1] الإسلام وعندما بلغ العاشرة من عمره ذهبت به إلى النبي - ﷺ - على استحياءٍ وعرضت عليه أن يكون خادماً عنده فرحب - ﷺ - به وقر عينها بذلك، فدخل أنس أعظم مدرسة عرفتها الدنيا، فقد لزمه وصاحبه وحدث عنه كثيراً حتى غدا علماً من أعلام الإسلام.

فأين فتاة اليوم من تلك الصحابية أم سليم، فتاة اليوم تريد الزوج أن يكون غنيّاً صاحب البيت الكبير والسيارة الفارهة والمركز المرموق والأموال الكثيرة، ولا يهم كيف هو من ناحية الأخلاق والدين ولا من أين يأتي بتلك الأموال كل ذلك لا يهم.

وهذه أم **محجن**[2] المرأة العجوز ذات البنية الضعيفة ولكنها كانت تدرك أن عليها واجباً اتجاه عقيدتها فقامت بتنظيف المسجد واستمرت تؤدي مهمتها إلى أن وافتها المنية، وفي ذات يوم مر الرسول - ﷺ - على قبر حديث عهد بدفن فقال - ﷺ - «متى دفن هذا؟» فقيل هذه أم محجن كانت مولعة بلقط القذى من المسجد، قال - ﷺ - «أفلا آذنتموني» قالوا كنت نائماً فكرهنا أن نزعجك، قال - ﷺ - «فلا تفعلوا فإن صلاتي على موتاكم تنور لهم في قبورهم» ثم صف أصحابه فصلى عليها[3].

ومن نتائج التربية النبوية أن **أسماء بنت أبي بكر** جاءت أمها **قتيلة**[4] كانت زوجة أبي بكر في الجاهلية وطلقها وأتت لابنتها أسماء حاملة هدايا فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها لأنها مازالت مشركة وأرسلت إلى أختها عائشة

---

(1) طبقات علماء الحديث لأبي عبد الله الدمشقي الصالحي ج1: 99، مجمع الزوائد ج9: 355، النجوم الزاهرة ج1: 224.

(2) نساء حول الرسول - ﷺ - ص272.

(3) أسد الغابة ج7 ص391.

(4) الطبقات ج8: 249، نساء الصحابة 208، تهذيب التهذيب ج12: 379.

تسأل الرسول في ذلك فقال لها: «لتدخلها وتقبل هديتها» وأنزل الله قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

ومن نتائج التربية أصبحت المرأة أستاذة للنساء والرجال أيضاً، فالقدوة الحسنة أهم وسائل الدعوة مع ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمرأة في عهده كانت ذات ثقافة إسلامية وواعية لواجبها نحو أبنائها ومجتمعها ومن ذلك أستاذية **صفية بنت عبد المطلب** [2] لولدها البطل الفدائي الزبير بن العوام فقد هاجرت مع ابنها وشهدت انتشار الإسلام وشاركت في نشره.

وأيضاً أستاذية أم الإمام مالك الذي كان من أعظم فقهاء الإسلام، وأستاذية أم الصحابي عبد الرحمن بن عوف الذي روى ووعى عن أمه وقولها له أنفق أنفق عبد الرحمن ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً وقصة سعيد بن المسيب الذي أعطى ابنته الفقيهة لتلميذه الفقير فكان الزوج لا يجد غضاضة في أن يتعلم منها[3].

ولو تتبعنا حياة فطاحل العلماء لوجدنا من شيوخهم الكثير من العالمات فيذكر ابن عساكر[4] أنَّه سمع الحديث من نيف وثمانين امرأة عالمة، ويذكر الذهبي[5] ميزة علمية للنساء وصدقهن في الرواية يقول: على كثرة مطالعتي لم أجد امرأة اتهموها في دينها وردت روايتها.

---

(1) الممتحنة الآية 8. نساء حول الرسول - ﷺ - ص272.

(2) استقلال المرأة في الإسلام ص62

(3) تحفة العروس ص79.

(4) المرأة في المجتمع ص31.

(5) ميزان الاعتدال ج3: 395.

ومن نتائج التربية النبوية والمعاملة الحسنة للنساء أن برزت نساء تحلين بالصبر والاحتساب عند الله وحب الآخرة والتضحية في سبيل الله لقوة إيمانهن بأن الدنيا فانية لا تستحق الحزن على ما فاتهن فيها ويقينهن بأن ما عند الله من الخير والجزاء الحسن لمن يصبر ويحتسب أعظم وأفضل من الدنيا وما فيها.

فقد تعرضت بعض النساء لفقد الأهل والولد والزوج فعبرن في تلك المواقف الصعبة بعبارات تدل على الإيمان القوي بالله دون سواه فمن خلال المشاهد الآتية وقفات متأنية عميقة المعنى تلتزم فيها المرأة جانب العزيمة والصبر:

فهذه حمنة بنت جحش[1] أخت زينب أم المؤمنين فجعت في مرة واحدة في أعز الناس لديها خالها حمزة سيد الشهداء وزوجها الداعية الإسلامي مصعب بن عمير وأخيها عبد الله في غزوة أحد فلم تعبر عن مشاعرها الملتاعة الدامية بأكثر من تفويض أمرها إلى الله هاتفة في أعماق قلبها في خشوع «إنّا لله وإنا إليه راجعون»، وقيل هي التي عندما نعي لها زوجها وأخوها وخالها وعلمت بسلامة الرسول - ﷺ - قالت: كل مصيبة بعده هينة، وهذا يدل على المحبة الصافية الكبيرة للرسول - ﷺ - التي يهون دونها الأهل.

وفي رواية أخرى قيل التي قالت هذه العبارة هي **هند بنت عمر بن حزم**[2].

وأسماء بنت عميس[3] صاحبة الهجرتين إحدى الأخوات المؤمنات اللاتي حصلن على وسام الإيمان منه - ﷺ - مات زوجها وأعز الناس عندها جعفر بن أبي طالب لم يكن لتلك المرأة المؤمنة إلا أن تجفف دموع الرحمة وتصبر وتحتسب عند الله الأجر العظيم.

---

(1) تقريب التهذيب ج2: 595، أعلام النساء ج1: 251.

(2) الاستيعاب ج4: 190.

(3) الإصابة ج8: 9، الطبقات ج8: 280، نساء من عصر النبوة ص372.

وهذه صفية أخت حمزة[1] عندما علمت بأن أخيها حمزة قد مثل به قالت إنه في الله فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله، فرغم وجدها عليه الشديد صبرت صبراً عظيماً واسترجعت واستغفرت له.

وعفراء بنت عبيد الله بن النجار[2] كان لها سبعة أبناء استشهدوا في سبيل الله فصبرت على ذلك الصبر الجميل.

وهذه أسماء بنت أبي بكر[3] وقفت فيما بعد من ولدها البطل عبد الله موقفاً رائعاً تحثّه على مواصلة الجهاد مادام يعتقد أنه على حق وأن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح، وكان لأسماء موقفٌ مع الحجاج عندما جاءها بعد قتل ولدها وقال لها: كيف رأيتني صنعت بعبْدِ الله - يقصد ابنها -، قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتكَ، وقالت: إن الرسول - ﷺ - حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً «كثير القتل وسفك دماء الناس» فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالكَ إلا إياه، فقام عنها ولم يراجعها وهكذا وقفت من ظالم غير هيابة وقرعته بكلمات كان لها وقع أشد من وقع السياط.

وتماضر بنت الشريد[4] المشهورة بالخنساء قدمت المدينة مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم فعاشت شطر حياتها في الجاهلية وشطرها الآخر في الإسلام وضربت في كل الشطرين أروع الأمثال في البطولة ورجاحة العقل، كانت شاعرة شهيرة رثت أخاها صخراً في الجاهلية بأروع المراثي وفي المدينة

---

(1) الطبقات ج8: 41، الثقات ج3: 197، أسد الغابة ج7: 173.

(2) الطبقات ج8: 443، نساء من عصر النبوة ـ أحمد خليل ـ ص184.،، المرأة المسلمة بين عدل التشريع وواقع التطبيق ص 179.

(3) نساء من عصر النبوة ـ أحمد خليل ـ ص235.

(4) رياض النساء ـ محمود عاني ـ 200، النساء في سطور 81، الإصابة ج8: 67، شاعرات العرب، نساء حول الرسول - ﷺ - ص267.

أصبحت بعد إسلامها رمزاً متألقاً من رموز البسالة وعزة النفس وعنواناً مشرفاً للأمومة المسلمة، وفي ليلة القادسية جمعت أولادها الأربعة لتوجههم وتحرضهم على القتال وعدم الفرار وتحبب إليهم الاستشهاد في سبيل الله، فخاضوا المعركة وقاتلوا حتى ظفروا بالشهادة، فلما بلغ الخبر إلى الأم المؤمنة الصابرة لم تجزع ولم تندب بل قالت: الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم جميعاً وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته، وهذا يدل على أن فجيعتها في أولادها بعد إسلامها تختلف عن موقفها من فجيعتها في أخيها قبل إسلامها وشتان بين موقفها الإسلامي وموقفها الجاهلي في الصبر على المصائب والاحتفاظ بالتوازن بين العقل والعاطفة، والسبب هو الإيمان بالله والاستفادة من أقوال الرسول - ﷺ - الذي حث الجميع على الإيمان بالغيبيات ومنها الإيمان بالبعث وملاقاة الأحبة في الآخرة والخلود في الجنة، كل ذلك جعلها وجعل غيرها يرحبن بفراق الأحبة ويحتسبن ذلك عند الله على أمل اللقاء في العالم الآخر.

وهذه أم سليم[1] السابقة الذكر التي كانت مثلاً للزوجة الصالحة لزوجها أبي طلحة ومثالاً رائعاً للأم الفاضلة، وقد أكرم الله هذين الزوجين بولد ذكر أصبح قرة عين لهما، وعندما مرض قلقا عليه كثيراً، وفي ذات يوم خرج زوجها أبو طلحة إلى المسجد فقضى الصبي نحبه فتلقت الأم المؤمنة الصابرة الحادث بنفس راضية وسجته على فراشه وهي تردد إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، ولما رجع أبو طلحة كانت أم سليم قد جففت دموع الرحمة وهشت لاستقباله فسأل عن ابنه

(1) رجال ونساء حول الرسول - ﷺ - ـ سعد يوسف ـ ص456، الدرر المنثور ص208، الطبقات ج8: 424.

فأجابته أسكن ما يكون ففرح لسكونه وراحته ثم قربت إليه عشاء أهدي لهم فأكل وشرب وقضيا ليلتهما وعند الفجر أخبرته الخبر فحزن ثم ذهب إلى الرسول - ﷺ - وأخبره الخبر فقال له الرسول - ﷺ -: «بارك الله لكما في ليلتكما»، فحملت بعبيد الله بن طلحة وولد له سبعة أبناء كلهم قد قرؤوا القرآن، فهل هناك امرأة في هذا الزمن لها هذا الإيمان والصبر والعناية بالزوج وهي في أشد حالات الحزن والألم على فلذة كبدها، بهؤلاء النساء انتصر المسلمون ومن هؤلاء النساء ولد الأبطال.

وحيث إنَّه - ﷺ - كان من حبه لله ولشرائعه ومحبته لجميع الناس فقد تَعَلَّم النساء منه ذلك الحب الصافي فقد كان يقول «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1] وأيضاً قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[2].

فمعاملته الحسنة - ﷺ - للجميع جعلته محبوباً عند كل من عرفه وآمن به وما جاء به حتى وصل حبهم له أعلى الدرجات فكانوا يفضلونه على الأهل بل على الروح والنفس وما فعله أبو بكر في الغار عند هجرته معه - ﷺ - إلى المدينة لدليل على ذلك الحب الكبير فقد أخذ أبو بكر يبكي وهو يقول والله ما على نفسي أبكي ولكن مخافة أن أرى فيك ما اكره يا رسول الله[3].

وأيضاً المرأة التي أصيب زوجها وأبوها وأخوها وقيل ولدها في أحد ولكنها لم تسأل إلا عن الرسول - ﷺ - وعندما علمت أنه بخير قالت: الحمد

---

(1) البخاري شرح الكرماني ج1: 95.

(2) البخاري بحاشية السندي ج1: 13.

(3) السيرة الحلبية ج2: 210.

لله كل مصيبة بعدك تهون يا رسول الله، وهذه هند التي كانت من أشد أعداء الرسول - ﷺ - قالت: ما كان على وجه الأرض أخباء أو خباء أحب إليَّ من أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أخباء أو خباء أحب إلى من أن يعزوا من أهل خبائك[1]. وبهذا نجد نتيجة لحب الرسول - ﷺ - للناس فكان حب الناس له حباً كبيراً لحبهم لهم وأخلاقه العالية معهم ومعاشرته الطيبة لهم وإذا كان هذا حال عامة الناس منه فكيف بمن آواهن وجعل منهن أمهات المؤمنين وكان يعاملهن أحسن معاملة فكانت كل واحدة تعمل جهدها في سبيل إدخال الفرح إلى قلبه وتخفيف أعباء الرسالة عنه حتى إنَّ كل واحدة منهن راضية أن يكون لها مكان في بيته مفضلة ذلك على أن تكون لها مع غيره مملكة مستقلة تنفرد بها، كل ذلك لأخلاقه العالية وحبه وعطفه ومعاشرته الحسنة معهن ومع غيرهن، فكانت نساؤه يتحملن نشر الدعوة وخاصة في الحياة الخاصة داخل البيوت أنهن لسن كأحد من النساء فهن القدوة الحسنة لجميع النساء يعشن في بيت فيه ينزل الوحي وتنزل التشاريع الإسلامية، كما أنه - ﷺ - جعلهن يحببن بعضهن البعض فكانت العلاقات بين نسائه كأحسن ما تكون العلاقات تجمعهن معيشة واحدة فهذه عائشة تقول عن زينب: لم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأعظم صدقة[2]، وكان - ﷺ - يحترم ويقدر التي تقدم خدمات في سبيل نشر الدعوة وتعليم المسلمين والمسلمات أمور دينهم، ولهذا لا يعقل أن يصدر عنهن ما يزعمه مرضى العقول والقلوب من أنَّهنَّ يدبرن المؤامرات والمكائد ويكرهن بعضهن البعض فهذا لا يمكن أن يصدر منهن

---

(1) خاتم النبيين ـ أبو زهرة ـ ج2: 1237.

(2) النسائي ج7 ص 66.

وهن في هذا المقام الرفيع والمنزلة العالية والمهمة الصعبة مهمة توصيل الشريعة إلى النساء خاصة والرجال عامة ولكن بعض المواقف التي حدثت في بيت النبوة وتصرف فيها الرسول - ﷺ - تصرفاً ليعلم المسلمين كيفية التصرف في مواقف مماثلة فهي مواقف تعليمية وليست بالصورة التي حاول المنافقون المبالغة فيها والزيادة عليها وأخذها أعداء الإسلام فحاولوا تضخيمها والافتراء فيها.

ومن نتائج التربية النبوية أن النساء أصبحن يطالبن بمطالب راقية:

فبعد أن شعرت المرأة بكرامتها ارتفعت مطالبها وكانت مطالب راقية لرقي المرأة بعد أن كانت متاعاً يورث، وهي مطالب ليس المقصود منها البروز والظهور ولكن لمعرفة دورها في خدمة الدين ومن تلك المطالب مشاركة النساء الرجال ثواب الجهاد في سبيل الله وأيضاً المطالبة بإرخاء الجلباب أكثر من الشبر، فعندما رخص الرسول - ﷺ - للنساء أن يرخين أطرافَ ثيابهن شبراً تحت الكعبين كما ذكرت سابقاً ولكن حرص النساء في ذلك العهد على الستر والخوف من التكشف فقالت أم سلمة: إذاً تنكشف أقدامهن عند الحركة فقال - ﷺ - «فيرخين ذراعاً...» وهذا يدل على ما كانت عليه المرأة المسلمة من الحرص على سترها وعفتها، وأيضاً من مطالبهن الراقية أنه عندما قال لهن - ﷺ - «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء...» وفي رواية أخرى قال «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكنَّ أكثر أهل النار» فقلت بما ذلك يا رسول الله قال «تكثرنَ اللعن وتكفرن العشير»[1]، فهن أردن أن يعرفن السبب في ذلك لأنهن مؤمنات بقوله ولكن يردن معرفة السبب حتى يبتعدن عنه، وعندما ذكر لهن السبب لم يقلن نحن لا نفعل ذلك بل سكتْن اعترافاً منهن بأنهن يفعلن ما يوجب دخول النار وأخذن يتصدقن وحاولن الابتعاد عن

(1) البخاري ـ بشرح الكرماني ج 7 ص 199.

تلك التصرفات واستغفرن الله، وغيرها من المطالب التي حاولت المرأة في عهده أن تصل بها إلى درجات عالية من الإيمان والتقوى وأداء الواجبات والمطالبة بالحقوق.

ومن نتائج التربية النبوية أن النساء روين عن الرسول - ﷺ - الأحاديث:

عندما انتقل الرسول - ﷺ - إلى المدينة وازداد عدد متبعيه وأصبح - ﷺ - مأموراً بالبيان والتوضيح والإرشاد كما في قوله تعالى: ﴿...وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، فكان من أسباب تعدد زوجاته كما ذكرنا سابقاً توصيل أمور الدين والشريعة وخاصة ما يتعلق بأمور النساء وعلاقتهن بالرجال، والزوجة خير من يقوم بهذه المهمة وهي ملازمة لزوجها مطلعة على جميع أحواله فكانت زوجاته - ﷺ - عالمات حافظات معلمات لبنات جنسهن أمور الدين فكن يروين عليه الأحاديث في مختلف المواضيع وخاصة في الأمور التي تحدث داخل البيت، وكانت المرأة في العهد النبوي قد أسهمت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام بمختلف الأساليب ومن ذلك كان لها دور في رواية الأحاديث وهن كثر لا يمكن حصرهن ولكن سوف نذكر بعض النماذج لكي تعرف المرأة المسلمة مكانة أختها في العهد الأول، فقد نبغ عدد من المحدثات في صدر الإسلام وبعده وقد استنبط مما رُويَ عنهن كثير من الأحكام الشرعية التي اعتمدها كبار الفقهاء في فتاويهم وقضائهم، ولقد أشارت كتب التراجم والحديث بنزاهة المرأة في رواية الحديث حيث ذكر الحافظ الذهبي في مقدمة كتابه الميزان[2] أنه لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت في حديث كما ذكر الشوكاني لم ينقل عن أحد العلماء أنه رد خبر امرأة

---

(1) سورة النحل آية 44.

(2) ميزان الاعتدال ـ الذهبي ـ ج6: 279.

لكونها امرأة ولهذا روت أمهات المؤمنين وغيرهن من الصحابيات أحاديث عديدة عنه - ﷺ -.

وعلى قائمة المحدثات السيدة **عائشة الصديقة بنت الصديق** أم المؤمنين[1] حيث كانت مرجعاً لعلم الحديث ثقة من كثرة دقتها وتيقنها فيما روت عن الرسول - ﷺ - الكثير من الأحاديث والتعاليم والتفاسير للآيات القرآنية، فقد كانت نابغة في الذكاء والفصاحة والبلاغة وأحاديث العرب وأنسابهم قوية الذاكرة متبحرة في أمور الطب راجحة العقل نافذة البصيرة ومن أبرع الناس في الحديث والقرآن والفقه فكانت **عاملاً** كبيراً ذا تأثير عميق في نشر تعاليم الإسلام، فقد نشأت في أسرة مسلمة تولاها في طفولتها شيخ الإسلام أبوها أبو بكر **الصديق**، ورعاها في شبابها سيد المرسلين زوجها - ﷺ - فتربت في بيت خير البرية، فكانت من أهم مراجع الأحاديث مع تفقهها في سائر العلوم الشرعية فقد كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه الرسول - ﷺ - حتى تعرفه وبهذا صارت مرجعاً ومنارة لجميع المسلمين من رجال ونساء، فكانت المحدثة الواعية والعالمة الفاضلة حتى إنَّها استدركت عن بعض الصحابة الأخطاء التي وقعوا فيها عندما حدثوا بأحاديثه - ﷺ - وكانت أشبه ما يكون بأبيها في خصلة الصدق[2] التي بها اشتهر ومن أجلها لقب بالصديق، وقد امتحن صدقها في مأزق عسير البلاء للنفوس فتمحصت عن معدن كريم وعرق سليم ففي الغاشية التي أطبقت على العام الإسلامي وتطايرت الأحاديث الموضوعة وتعمد أناس أن يصوغوا من عندهم حديثاً لكل حزب

---

(1) الخلاصة ج3: 387، سير النبلاء ج2: 135، الثقات ج3: 323، الدرر ص380، سطور مع العظيمات 15.

(2) عائشة ـ عباس العقاد ـ ص30.

ينصره ويرضيه، كانت عائشة لم تنقل قط في كل ما ثبتت نسبته إليها حديثاً واحداً تمسه الشبهات من قريب أو بعيد ولم تحرف كلمة واحدة إلى غير موقعها لإغراء تلك النوازع النفسية التي تطيش بالألسنة وتضلل العقول ولهذا كانوا يروون عنها فيقولون حدثتنا الصديقة بنت الصديق.

وقد عاشت بعد الرسول - ﷺ - فترة طويلة فاستفادت الأمة من علمها ولعل ذلك السبب والحكمة في زواجه - ﷺ - بها وهي صغيرة، كما أنَّ المرأة التي يحسن الرجل معاملتها تكون من أحسن النساء عقلاً وتصرفاً ولهذا كان لحسن معاملته - ﷺ - لها ولغيرها أن لمعت هذه الشخصية العظيمة التي أفادت الإسلام والمسلمين بعلمها وفقهها.

ومن الأحاديث التي روتها عنه قالت: قال - ﷺ -: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[1]، وعن عائشة قالت: سخنت ماءً في الشمس فقال - ﷺ -: «لا تفعلي ذلك فإنه يورث البرص»[2]، وقد سئلتْ عائشة عن قيام الليل فقالت: «ينام أوله ويقوم آخره»[3]، وعندما سألوا عائشة هل يغتسل أول الليل أو آخره قالت: «كل ذلك ذلك، ربما اغتسل من أوله وربما اغتسل في آخره، فقال السائل: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة»[4]، وعن عائشة أنه - ﷺ - «كان يصلي ركعتين خفيفتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح»[5].

---

(1) سنن النسائي شرح السيوطي ج1: 10.

(2) السنن الكبرى للبيهقي مج1: 20.

(3) البخاري بحاشية السندي ج1: 197.

(4) النسائي بشرح السيوطي ج1: 126.

(5) البخاري شرح الكرماني ج5: 18.

وفي جامع مسانيد النساء[1] لها الكثير من الأحاديث كما روى عنها الكثير من النساء منهن **عائشة بنت طلحة** ابنة أختها، فقد حدثت عنها أحاديث كثيرة[2] وكانت ابنة طلحة ذات عفة وأدب عظيمة الثقة في نفسها ومن خلال بعض الكتب نجد أن هناك لبساً وخلطاً بين عائشة أم المؤمنين وبين عائشة بنت طلحة ولهذا يجب التأكد من الأخبار ونسب كل حديثٍ لصاحبته.

ومن تلميذات عائشة أم المؤمنين **عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية** حدثت عن عائشة، **وأم الدرداء** أيضاً روت عن عائشة أم المؤمنين، وأيضاً **زينب بنت أبي سلمة** ربيبة الرسول - ﷺ -، كما روت عن عائشة بعض زوجاته - ﷺ - مما يدل على العلاقات الحسنة والممتازة داخل البيت النبوي الذي كان منارة لجميع المسلمين، وأيضاً نجد الزوجات يذكرن بعضهن البعض بالخير والثناء ومن ذلك قول عائشة في ميمونة: ذهبت والله ميمونة إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم[3]، كما قالت في زينب: لم أرى قط امرأة خيراً في الدين من **زينب**....[4].

وهذا يدل على المعاملة الحسنة والعشرة الطيبة بينهن، وما حدث من مواقف داخل البيت النبوي وحاول البعض المبالغة فيها قد تكون لتعليم الأمة الإسلامية كيفية التصرف في مواقف مماثلة.

ومن اللاتي روين عنها أيضاً **درة بنت أبي لهب الهاشمية وزينب امرأة ابن مسعود وسلمى بنت حمزة** وغيرهن[5].

---

(1) جامع مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 35.

(2) تاريخ دمشق 46 ـ 207، الخلاصة ج3: 370.

(3) طبقات ابن سعد ج8: 138، سير النبلاء ج2: 244.

(4) تقريب التهذيب ج2: 600، الخلاصة ج3: 382.

(5) كتاب تعجيل المنفعة ـ ابن حجر ـ ص556.

ومن زوجاته - ﷺ - اللاتي روين عنه **أم سلمة**[1] التي روت عنه الكثير من الأحاديث وأفادت بنات جنسها في كثير من المسائل الفقهية ومن ذلك أنها قالت «قربت إلى الرسول - ﷺ - مشويّاً فأكله ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ»[2]، وقالت أيضاً: إنَّه قال - ﷺ -: «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[3].

وهذه ميمونة[4] كانت من سيدات النساء روت عنه - ﷺ - عدة أحاديث وروى عنها ابن عباس ابن أختها وغيره وقد قالت: «كان يصلي - ﷺ - وأنا حذاءَه وأنا حائض وربما أصابني ثوبه إذا سجد»[5].

وهذه سودة بنت زمعة روت عنه - ﷺ - وأخرج لها في الكتب الستة كما أنها استأذنت الرسول - ﷺ - ليلة المزدلفة أن تدفع في الليل قبل الازدحام في الصباح لأنها كانت مسنة فأذن لها ولغيرها من الضعفاء[6] فكان في ذلك توسعة على الأمة في هذا الأمر وخاصة الكبار في السن والمرضى والضعفاء الذين لا يتحملون الزحام الشديد أيام الرجم في الحج.

وحفصة بنت عمر الخطاب[7] الستر الرفيع كانت تحسن القراءة والكتابة واحتفظت بالنسخة الأصلية للقرآن وظلت عندها حتى وفاتها، روت الكثير من الأحاديث وكانت روايتها محل ثقة وروى عنها الكثير من الفقهاء منهم

---

(1) ميزان الاعتدال ج6: 280، الخلاصة ج3: 394.

(2) السنن الكبرى للبيهقي مج1: 154.

(3) السنن الكبرى للبيهقي مج1: 27.

(4) سير النبلاء ج2: 232، سطور مع العظيمات ص392، جامع مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 58.

(5) البخاري شرح الكرماني ج4: 44.

(6) سير النبلاء ج2: 266، الثقات ج3: 144، نساء الصحابة ص82، الإصابة ج8: 117.

(7) جامع مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ج1: 342، سير النبلاء ج2: 228، الخلاصة ج3: 378.

أخوها عبد الله بن عمر وغيره، وكانت علاقتها حسنة مع غيرها من الزوجات ولها أحاديث في الكتب الصحيحة، من ذلك قالت: «إنَّه كان إذا اعتكف المؤذن جلس ينتظر الصبح لكي يؤذن صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة»[1].

وهذه زينب بنت جحش[2] لها أحاديث قالت فيها عائشة ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين والتقى وأصدق حديثاً وأوصل للرحم من زينب أخرج لها في الكتب الستة.

وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان[3] ومن حبها الشديد للرسول - ﷺ - طلبت منه أن ينكح أختها بنت أبي سفيان لتشاركها في الخير[4] ولكنه - ﷺ - لم يقبل وأيضاً قال: «إنها لا تحل لي» لأنه لا يصح الجمع بين أختين، وقد روت عنه - ﷺ - أحاديث بعضها في البخاري ومسلم وقد أخرج لها الستة[5].

وجويرية بنت الحارث روت عنه- ﷺ - وقد أخرج لها في الكتب الستة[6].

وصفية بنت حيي بنت سيد اليهود[7] أسلمت وحسن إسلامها وهي أم للمؤمنين روت عنه - ﷺ - بعض الأحاديث وأخرج لها البخاري ومسلم.

ومن بناته روت عنه- ﷺ - ابنته **فاطمة** ومن ذلك قالت: إنه كان يقول إذا دخل المسجد «بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر

---

(1) البخاري شرح الكرماني ج5: 18.

(2) موسوعة الرجال التسعة ج4: 326، الخلاصة ج3: 382.

(3) أعلام النساء ج1: 661، أسد الغابة ج7: 115، كتاب المحبر 88، ابن كثير ج3: 373.

(4) البخاري ج7: 112، تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ـ ص71.

(5) الخلاصة ج3: 370، الثقات ج3: 131، سير النبلاء ج2: 232.

(6) موسوعة رجال الكتب التسعة ج4: 314، نساء الصحابة 86.

(7) موسوعة الكتب التسعة ج4: 332، الثقات ج3: 197، الخلاصة ج3: 378.

لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك»[1] أخرجه ابن ماجة وأبو داود ومن نساء المسلمين عامة اللاتي روين عن الرسول - ﷺ - **أسماء بنت أبي بكر**[2] روت عنه وروى عنها الكثير منهم ابنها عبد الله.

وأسماء بنت عميس[3] **والخنساء بنت خدام الأنصارية**[4] زوجة أبي لبابة وروى عنها ابنها السائب وغيره أخرج لها البخاري والنسائي وأبو داود.

وفريحة بنت مالك بن **سنان** أخت أبي سعيد الخدري روت عنه- ﷺ -.

والربيع بن معوذ الأنصارية[5] كانت عالمة بأمور دينها لها عدة أحاديث أخرج لها الستة.

وأسماء بنت يزيد بن السكن[6] خطيبة النساء ذكرت سابقاً لها أحاديث في البخاري وغيره.

وأم سليم الرميضاء[7] بنت ملحان والدة أنس بن مالك ذكرت سابقاً كانت من الصحابيات الفاضلات أخرج لها البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

وأم حرام بنت ملحان[8] خالة أنس بن مالك صحابية مشهورة أخرج لها البخاري ومسلم وغيرهما.

---

(1) جامع مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 25.

(2) مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 17.

(3) مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 18، مرآة الجنان ج1: 331.

(4) مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 20، أعلام النساء ج1: 304.

(5) الثقات ج3: 197، الخلاصة 381، مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 21.

(6) الخلاصة ج3: 375.

(7) الثقات ج3: 132.

(8) أعيان النساء ص99، مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 31.

وأم أيوب بنت قيس بن سعد[1] زوج أبي أيوب أخرج لها أبو داود وابن ماجة.

وخولة بنت قيس النجارية[2] زوجة حمزة لها أحاديث أخرج لها البخاري والترمذي.

وخولة بنت أنس[3] صحابية لها حديث في الرقية أخرج لها ابن ماجة.

وزينب بنت عبد الله الثقفية[4] امرأة ابن مسعود لها أحاديث في عدة مواضيع منها الصدقة بالحلي أخرج لها البخاري ومسلم.

وضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية[5] بنت عم رسول الله - ﷺ - روت عنه - ﷺ - أحاديث وروى عنها جماعة منهم سعيد بن المسيب.

وأميمة بنت رقيقة[6] لها صحبة من المبايعات روت عنه - ﷺ - وهي أخت خديجة.

وجهدمة[7] امرأة بشير بن الخصامية صحابية لها أحاديث.

وأم أيمن[8] مولاة الرسول - ﷺ - وحاضنته واسمها بركة بنت ثعلبة هاجرت الهجرتين وشهدت الكثير من الغزوات روت عنه - ﷺ - وروى عنها أنس بن مالك.

---

(1) التهذيب ج12: 460.

(2) الخلاصة ج3: 380، تقريب التهذيب ج2: 598.

(3) تقريب التهذيب ج2: 596.

(4) الثقات ج3: 142، نساء الصحابة ص236.

(5) أعلام النساء ج2: 353، التاريخ الصغير ج1: 83، خلاصة التذهيب 386، سير النبلاء ج2: 276، طبقات ابن سعد ج8: 46.

(6) تاريخ دمشق تراجم النساء ـ ابن عساكر ـ ص58، الدرر ص67.

(7) الخلاصة ج3: 377، تقريب التهذيب ج2: 594.

(8) مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 30.

ولبابة أم الفضل[1] زوجة العباس خالة خالد بن الوليد روت عنه - ﷺ -.

وسلمى أم رافع[2] زوج أبي رافع لها صحبة وحديث أخرج لها بعض الستة وهي التي كانت قابلة لفاطمة عندما ولدت الحسن والحسين وأيضاً مارية عندما ولدت سيدنا إبراهيم ابن الرسول - ﷺ -.

وفاختة[3] وقيل هند بنت أبي طالب أم هانيء الهاشمية ذكرت سابقاً لها صحبة وأحاديث أخرج لها الستة.

وخولة بنت حكيم بن أمية السلمية[4] أم شريك زوجة عثمان بن مظعون لها أحاديث أخرج لها الستة.

وجميلة بنت ثابت[5] أخت عاصم بن ثابت امرأة عمر بن الخطاب ذكرت في باب العقيقة.

وأم عطية[6] نسيبة بنت الحارث لقد ذكرت سابقاً بالإضافة إلى أنها كانت تغسل الموتى، روت عنه - ﷺ - أحاديث ومن ذلك قالت: توفيت إحدى بناته - ﷺ - فقال: «اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك..... واغسلنها بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور» وغيره من الأحاديث.

---

(1) مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 28، الثقات ج3: 392.

(2) أعلام النساء ج2: 254، التهذيب ج12: 425.

(3) أعلام النساء ج4: 14.

(4) موسوعة الكتب التسعة ج4: 380، مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 20.

(5) مرآة الجنان ج1: 335، نساء الصحابة 300، الدرر ص136.

(6) أسد الغابة ج7: 368، مسند أحمد ج6: 439، مسانيد النساء ـ إبراهيم الجمل ـ ج1: 29.

وكبشة بنت كعب بن مالك السلمية[1] زوج عبد الله بن أبي قتادة لها صحبة أخرج لها بعض الستة.

وسلمى بنت قيس بن عمرو الأنصارية النجارية[2] إحدى خالاته - ﷺ - من جهة أبيه صحابية روت عنه - ﷺ -.

وأمامة بنت حمزة[3] كانت من راويات الأحاديث أخرج لها في بعض كتب الستة.

وهذا العدد على حسب الذكر لا الحصر لأن هناك الكثيرات اللاتي روين عن الرسول- ﷺ - في مختلف المواضيع الفقهية وغيرها، وكن يعملن على نشر الدعوة في سبيل الله، ورواية أحاديثه - ﷺ - فكن قدوة لغيرهن في العهود التالية.

كما حرصت المرأة في عهده - ﷺ - على استنباط الأحكام من خلال المواقف المختلفة مع الرسول - ﷺ - ومن ذلك ما فعلته **أم الفضل** زوج عمه العباس حينما وجدت الناس مختلفين في صيامه يوم عرفة وكان يوماً شديد الحر فحسمت الأمر بالتطبيق العملي بأن أرسلت إليه قدحاً من اللبن فشربه والناس ينظرون وبذلك انتهت القضية بطريقة مؤكدة وفي رواية أخرى أن **ميمونة** زوجته- ﷺ - وهي أخت أم **الفضل** السابقة الذكر هي التي أرسلت قدح اللبن[4].

---

(1) أسد الغابة ج7: 449.

(2) الثقات ج3: 184.

(3) التهذيب ج12: 485، الطبقات ج8: 40.

(4) البخاري شرح الكرماني ج9: 144.

وفي النهاية أريد أن أنبه أن هناك نساء أسماؤهن مثل أسماء زوجاته - ﷺ -، فقد نجد حفصة وهي ليست ابنة عمر ولكن بنت سيرين[1]، وكذلك من الراويات من اسمها صفية وهي ليست زوجته[2]، وقد نجد من يقول عن عائشة وهي ليست أم المؤمنين، ونجد في حديث حدثنا جويرية بن السماء فهو رجل وقد يحدث اللبس بينه وبين جويرية أم المؤمنين[3]، وغيره من الأسماء التي قد يحدث فيها لبس بينها وبين أسماء أمهات المؤمنين ولهذا لابد أن يكون الباحث متيقناً لتلك الأشياء حتى لا ينسب الأشياء إلى غير أهلها.

(1) البخاري شرح الكرماني ج8: 38.

(2) البخاري شرح الكرماني ج9: 21.

(3) البخاري شرح الكرماني ج6: 56.

الخاتمة:

من خلال ما كتب سابقاً نجد أن المرأة قد كرمها الإسلام وأحاطها بمظاهر العناية والاحترام ومنابع الشريعة الصافية التي هي الكتاب والسنة النبوية تشهد بذلك، إضافة للتطبيق العملي لكل ذلك في حياته - ﷺ - مما جعل المرأة حاضرة في مختلف ساحات المجتمع تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجادل عن الحق وفي الحق، وأيضاً معاملته الحسنة للمرأة وأقوالَهُ فيها مثل قوله- ﷺ -: «النساء شقائق الرجال»، أكسب هذا القول وغيره المرأة الثقة في نفسها، فضلا على أنه أثار فيها عواطف التدين والتطلع إلى حياة أخروية هي خير وأبقى، وكان أيضاً حافزاً لنشاطها الجاد في تحمل أعباء الحياة وأحدث أيضاً انقلاباً في طريقة تفكيرها ونظرتها للأمور، فكان خروجها للعمل خارج البيت للحاجة والضرورة الداعية له، وتوافرت الظروف والشروط الملائمة للمرأة مع الالتزام بالاحتشام وتجنب الخلوة بالرجال، بحيث لا يؤثر خروجها على واجباتها المنزلية لأنها كانت تعرف ومتيقنة أن مهمتها الأساسية هي صياغة الحياة الإنسانية، وتعلم أنَّ تغيب المرأة عن هذه المهمة يؤدي إلى ضياع الأسرة وبالتالي ضياع المجتمع، وخروجها يكون في ظل الالتزام بآداب الشريعة كما أنها كانت تشعر بالسعادة لحاجتها للرجل وهو يشعر بالسعادة لحاجته إليها فيكمل كل منهما الآخر.

فالمرأة في الإسلام هي البنت والأخت تعيشان الإسلام وتقومان بما يجب عليهما، وهي الزوجة تفيض عفة وإخلاصاً للزوج فمن رحمة الله بعباده وكرمه أن جعل الحياة الزوجية ترتكز على دعائم قوية من المودة والرحمة والسكن والراحة، والأم تغرس المثل العليا في نفوس الأبناء.

فالمرأة هي الصانعة للمجتمع الكريم والأمة الفاضلة ولكن الظروف العديدة المتداخلة وتراكم التقاليد والخرافات وبروز بعض الفتاوى الشاذة والفهم الخاطئ للقرآن والسنة جعل البعض لا يفهم من قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ...﴾ لا يفهم إلا معنى التسلط وظلم المرأة وإهانتها في حين تعني القوامة تنظيم وإدارة ورئاسة عامة للأسرة ليس لأحد من أفراد الأسرة الخروج عليها، كما أن على رئيس الأسرة مراعاة مرؤوسيه ومن تحت رعايته.

فالفهم الخاطئ للنصوص الشرعية خلف في اللاوعي الاجتماعي نظرة استصغارية للمرأة حرمتها الكثير من حقوقها وأقعدتها عن المساهمة في النهوض السليم بالمجتمعات الإسلامية مما جعلها تتخبط في طرق الضلال بعيدة عن الطريق الصحيح إلا من رحمه الله تعالى، ولهذا من الخطأ والظلم اعتبار أوضاع المرأة المتردية في عصرنا الحاضر هي وليدة الإسلام ومعبرة عن رأيه فالعلة ليست في شريعة الإسلام وإنما العلة في التطبيق والممارسة لهذه الشريعة الكاملة.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	7
تمهيد	9
الفصل الأول: المرأة في المجتمع المكي والهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة	17
أ- خديجة بنت خويلد ومواقفها من الدعوة	17
بناته - ﷺ - ومواقفهن من الدعوة	20
ب- نساء أسلمن وتعرضن للأذى في مكة	24
أم ياسر	24
فاطمة بنت الخطاب	25
أم شريك غزية العامرية	26
أسماء بنت أبي بكر الصديق	27
ج- نساء هاجرن إلى الحبشة	28
أم أيمن	28
سودة بنت زمعة	28
أم سلمة	29
أم حبيبة	30
أسماء بنت عميس	32
د- نساء أسلمن وبقين حتى هاجرن إلى المدينة	32
أروى بنت عبد المطلب	33
أميمة بنت عبد المطلب	34

عاتكة بنت عبد المطلب 34
صفية بنت عبد المطلب 34
أم رومان أم عائشة 36
أروى بنت كريز بن عبد شمس 36
فاختة بنت أبي طالب 37
الشفاء العدوية 38
حمنة بنت جحش 40
درة بنت أبي لهب 40
الفصل الثاني: تكوين الدولة الإسلامية بالمدينة ودور المرأة 43
أ- دور المرأة في الذود عن الدعوة 43
أم عطية الأنصارية 44
أم عمارة نسيبة بنت كعب 45
صفية بنت عبد المطلب 46
الربيع بنت معوذ 47
رفيدة الأسلميَّة 47
أم حرام بنت ملحان 48
أم سليط وغيرها كثيرات 48
ب- تطبيق حقوق المرأة في عهده - ﷺ - 51
حق الحياة وحق اختيار طريق الإيمان 51
حق اختيار شريك الحياة وما يتعلق بذلك 52
حق التعليم والتعلم ومواقف الرسول - ﷺ - التربوية للنساء .. 77
حق المرأة في العمل وموافقته - ﷺ - من ذلك 96

حق المرأة في التصرف في أموالها الخاصة 109
حق المرأة في الميراث 111
ج- نساء نزل فيهن القرآن وكيف تعامل الرسول - ﷺ - مع ذلك .. 114
الفصل الثالث : نتائج التربية والإرشاد النبوي للنساء 133
من نتائج تلك التربية أن بعض النساء كن سبباً في إسلام عظماء الرجال 134
من نتائج تلك التربية أصبحت بعض النساء معلمات للرجال 138
من نتائج تلك التربية نساء تحلين بالصبر عند المصائب 139
من نتائج تلك التربية نساء يطالبن بمطالب راقية 141
من نتائج تلك التربية رواية الأحاديث النبوية ونشر الدعوة 142
زوجاته - ﷺ - ودورهن في رواية الأحاديث ونشر الدعوة 143
النساء عامة في رواية الأحاديث والدعوة إلى الإسلام 143
الخاتمة 153